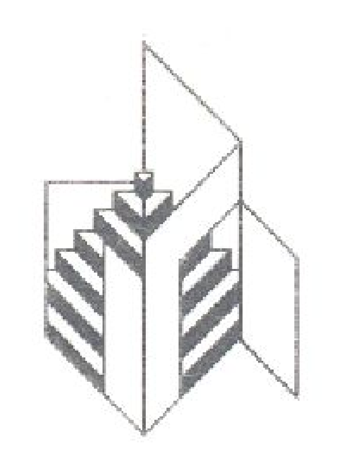
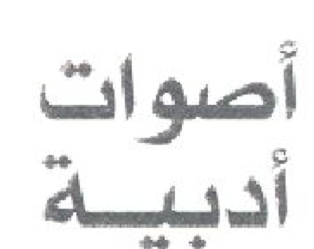






أصوات أدبية

حديث الحجرات

اللوحة للفنان : خلف طايع



مجدي حسنين

حديث الحجرات

قصص

مجدى حسنين

297
أصوات أدبية

أصوات أدبية

تعنى بنشر الإبداعات المصرية

الهيئة العامة لقصور الثقافة

- حديث الحجرات - 297 - قصص - مجدى حسنين
- الطبعة الأولى - يوليو 2000

المراسلات

باسم مدير التحرير على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى : ١١٥٦١

رئيس مجلس الإدارة

علـــى أبـــو شـــادى

أمين عام النشر

محـــمـــد كـــشـيك

الإشراف العام

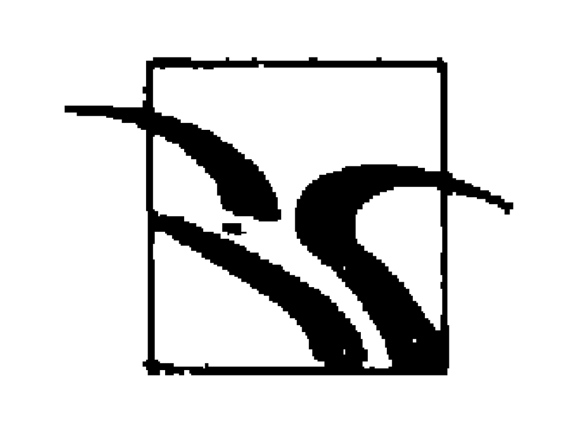
أحمد عبد الرازق أبو العلا

رئيس التحرير

محـــمـــد البـــساطى

مدير التحرير

جـــرجـس شـكـرى



دورة مياه للرجال

لم تكن به رغبة فى التبول أو التبرز، لكنه دفع باب دورة المياه بقدمه، وأخذ يفرك يديه في بعضهما ، ويستقبل زفيره الساخن على ظهر أصابعه، وهو قابض الكفين : رفع بصره فوقع على تشكيلات من الانحناءات ودوامات دخان السجائر والقهقهات وإغلاق أزرار المعاطف والبنلطونات وأطراف الحديث التى لم تنقطع ، أخرج سيجارة من جيب المعطف الداخلى ، وتقدم فى حياء يطلب من أحد المدخنين أن يشعل له ،فمد المدخن سيجارته وهى فى فمه، واضعاً يديه خلف ظهره، فشكر المدخن فى احترام وانصرف إلى أحد الأركان ، متفادياً البصاق الذى ضل طريقه إلى زوايا الحائط، ثم مال بكتفه على الحائط بلا اكتراث ، وتاه بصره بين تضاريس البقع الموجودة بفعل رشح المياه الجوفية على الحوائط،

واستجمع البصاق في فمه، وتمنى أن يبصق لأعلى ولو مرة واحدة فى حياته، لكنه ابتلع ريقه.

يجذب من سيجارته ناراً ودخاناً واحتقاراً وضباباً، مال برأسه وغنى مع نفسه، محاولاً أن تتطابق نبراته الصوتية مع نبرات عبد الوهاب «كيف يشكو من الظمأ من له هذه العيون» انتبه لارتفاع صوته .. لكن لم ينتبه أحد .

خرج أحدهم من إحدى محلات التبرز ، وترك الباب المواجه له مفتوحاً غاص ببصره فى سلة بجوار مقعد التبرز مليئة بأوراق بيضاء ، وأخرى باقعة بألوان تتدرج من الصفرة إلى السواد ، مروراً بعناوين الجرائد وبعض الصور العارية لنساء جميلات واللون البنى .

استمر فى الغناء «إن عشقنا فعذرنا .. أن فى وجهنا نظر» .. ثم تقدم فى اتجاه الباب بخطا متعرجة، وألقى بعقب السيجارة مشتعلاً، واطمأن لسماع صوت انغماس النار فى المياه»، وسار فى مواجهة النافذة ببطء .

وحاول أن ينظر من خلالها شيئاً ، لكنه اكتشف أن

للنافذة طبقتين من الزجاج، يتراكم على الأولى رذاذ الماء الدافىء الداخل، وتتراكم على الأخرى ضباب البرد الخارج، أزاح الرذاذ فلم ير شيئاً، ففتح النافذة وأزال دائرة الضباب لتسمح بمرور البصر ، فصرخ فيه أهل الدورة من شدة البرد، اعتذر أثناء غلقه النافذة، وإن ظل يتطلع إلى الخارج، كانت فتاة وردية تحمل مظلة بنفسجية يذوب البرد من حولها، انتفض قلبه بجنبه كراقص خارج لتوه من نهر بارد، وتطايرت حبيبات الثلج فى الهواء، سألها عن حالها، فجاوبته بما لم يفهمه، فأعاد السؤال بإحدى اللغات المحايدة »، فأعادت عليه ما لم يسمعه من قبل، ولم يخطر على ذاكرته اللغوية، ابتسم كل منهما للآخر في بلاهة وبحركة مسرحية مد كل منهما ذراعه، وأمسك بأطراف الخيمة بيضاء جذباها فى اتجاهات معاكسة، تراكم الثلج فى زمن قياسها، فامتد الفراغ بينهما.

أتته رغبة ملحة فى التبول، مر ببصره على المباول، كانت المؤخرات تترهل عليها الملابس، ويتوالى البشر خلف

بعضهم، كل فى انتظار دوره فى صفوف كان هو فى نهايتها، سأله أحدهم : أين آخر الصف ؟ فقال له : أنا .. فاصطف وراءه، حرك قدمه محاولاً أن تتحرك رغبته فى التبول معها، فزادت عليه إلحاحا، لف ساقيه حول بعضهما ثم فكهما، وأخذ يحرك قدمه فى مكانها، حتى أصبح بينه وبين حوض التبول مسافة فردين اثنين، أيصغى بانتباه لاندفاع البول الساخن فى الحوض، فشق أذنه صوت انفتاح باب أحد محلات التبرز، خرج منه شاب مترنح، فاندفع خارج الصف مهرولاً إلى ذلك المحل، لكن الباب انغلق فى وجهه، فطرق عليه مندهشاً، وجاوبه صوت من الداخل، فعاد مزاحماً إلى مكانه فى الصف، لكن الواقف مكانه قال له : اصطف فى آخر الصف : فقال : كنت واقفا أمامك .. فقال الرجل : لم أرك تطايرت الكلمات واللكمات فى الهواء، واختلط الصياح بالبول والبصاق بدخان السجائر ، ولم يفلح إلا انتظامه فى مؤخرة الصف ، معاوداً تحريك ساقيه فى ألم .

ثبت بصره مرة أخرى على النافذة فى قلق، فاندفع

إليـهـا، وفك أزرار مـعطفـه وبنطلونه، وحـاول جـاهداً أن يتبول، لكنه شعر بتجمد المياه داخله، كانت دورة المياه تضج بالصياح، فالتفت إلى الموجودين داخلها، كانوا يزمجرون فى غضب، تقدموا ناحيته ووجهوا أذرعتهم وقبضاتهم إليه فى لحظة واحدة.. فانطلق متبخراً فى الهواء .

مذكرات خاصة لابن المقفع

أولا : الحمار

انفتح الباب، كلا لم ينفتح، انغلق الباب، كلا لم ينغلق فالباب موصد لتلم الشمس متاعها عن هذا الوادى وترحل إلى أحضان الجانب الآخر، قد تعود ثانية ، من المشرق.. من المغرب.. فالأمر سواء، وقد لا تأتى أبداً، وربما ظل السحاب فى الأفق راكداً ملتهب الجبين، يتسلى والقدر بالدقائق قبل الأخيرة من الوقت بدل الضائع قبلما ينفخ «الحكم» نفخته الباكية معلنا نهاية المباراة.

فقد قالوا إنه « من السهل على الإنسان أن يقلد صوت الحمار ولكن من الصعب أن تكون له القدرة على التحمل والصبر»، لأنه فى هذه الحالة «سترتفع الرايات السوداء مرفرفة فى أيدى الجمع لتزف الليل المنتصر على طلقات النفير والحناجر الصدئة، ويغيب هنالك عنا منقذنا من

العتمة، فأنى له التقدم وقد أعلنت «اللوحة الكهربائية» مسك الختام الذى ألهب خياشيم أفئدة المتفرجين ، رغم تصفيقهم الحاد ، بعد ما انفتح الباب على لا شىء انفتاحاً كريهاً .

والليلة - يا سادة - ختام عروض أول حفل لتلك المسرحية الهزلية التى لم تبدأ بعد، وإن دامت «بروفاتها» أكثر من خمس وثلاثين ألف ليلة، الزينات فى كل مكان، والأرض مفروشة برذاذ خفيف يكور حبات الرمال فى شكل مبدع، والأمن على أشده، والمصورون يخطفون الأبصار بأنوار عدساتهم، والنقاد من كل نوع وصنف ملتفون حول بقايا البطل فى نهم بالغ، يفرغون شحناتهم المكررة بعد ما أطلق الحكم نفيره على عواهنه وانعدمت قوانين المساواة فى إيجاد فرصة لدخول حلبة الصراع .

أحد المصورين يحاول عبور الحد الفاصل لهم ، يعترضه أحد رجالات الأمن، عسى لا تقع عدسته الخبيثة على شىء مكروه كراهة تحريم، فيظهر له المصور «بادج» ملصق بصدره، عليه أمر تكليف رقم ١٦٦ يرفعه إلى

، عنان السماء ليلتقط من عل ما يشاء ويرسل كما يهوى بلا خبث أو حيطة .

كل هذا وجابر لم يعتل خشبة المسرح المعهود بعد، لم يقل ما يريد بعد، حقيقة إنهم قد أتوا به إلى هنا، إلا أن نتائج النص الضائع لحقت أول بروفة خرساء قام بها البطل المختار يوم قذفه صراخه من رحم الوجود، ويا ليته ما قذفه، فحياته ليست أكثر من بروفة دميمة تحكم فيها مخرج هزيل، والزمان دائماً ما يجيد أدوار الخيانة مع جابر، فصار أبكم الفهم والشعور، فعليه الليلة - كما نصحه أحد النقاد إياهم - أن يشحذ كل ما فيه ليأتى بآخر ما عنده إبداعاً، ويمحو الصفر الذى لصق بجبينه ويمن حوله .

قد تركن العلة فيه، أو بعضها، أو فى أى أحدِ آخر، إلا أن الليلة المصير، فلابد أن يتماسك ، وألا يتلعثم كى يقذف الكرة بشدة ، بشدة أكثر وأكثر ، ليحقق آخر ما يتمناه على أرضه الضائعة .

أراه منذ ما فرش الصباح متاع شمسه الأخير

بالأرض على غير عادته وكأنه مس بشر، يأتى ويروح متكتكاً ومتمتماً بشفتيه الغليظتين بكلمات، ربما كانت «سيناريو» الدور الذى أسند إليه حتى يعيه جيداً، وربما ليلهى باله فى هروب قد لا يستمر أكثر مما طال عم يفعله عباس والرجال الذين تعاقد معهم منذ أول أمس على خلع الشجرة للانتفاع بها بعد ما بيعت الأرض لإحدى شركات الاستثمار وقبض ثمنها حقائبا ، ولو وضع جابر فى كفة والنقود فى أخرى لاحتاجت كفته إلى ملايين الجابر كى ترجح .

بالأمس - غاص الرجال فى الحفر إلى ما يقرب من سبعة أذرع، ليصلوا إلى قرار الجميزة ولا قرار . وكأن نبتها قد خلط بطين الأرض اللين فى بداية الخلق، فقرروا أن يجتثوها من أقصى ما وصلوا إليه وليتركوا الزمان والأرض يصنعان صنيعهما .

التفوا حولها - كلاً بمعوله فى خفة ومهارة من يتعلمون الحلاقة فى رؤوس اليتامى، بعد ما فرغوا من شرب الشاى وكراسى الدخان، وانتحى جابر لذاته جانباً،

وأنهى عباس سيجارته ، ووقف يشاركهم ويزيد من عزمهم بوجهه المتجمد كالطين الراكد بالنهر المجاور ، ويراعى أولا وأخيرا ماله ، فهو يدرك حقه جيداً فى ميراث الحاج الذى لم يرحل بعد ، ناهيك عن بقية إخوته «فعبس» يعرف الطريق التى بها يخرس أيهم لو طلب شيئاً حتى لو فج رأسه بموس الحلاقة في يده .

استمر عباس يزيد من عزم الرجال، وجابر يزداد احتراقاً من جنونه المتواصل، فكلما نزل أحدهم بحد معوله، ابتلعت الجميزة الضربة صامدة، قاسمة ضلع من ضلوع جابر، كرروا المحاولة مرة واثنتين ، وعشرة وعشرتين، وجابر لم يهمد، وكذلك الرجال، والجميزة لا تستجيب، والأمور بالنسبة لعباس معطلة ويريد إنهاءها سريعاً سريعاً، خاصة أن ميعاد استلام الأرض باكر ، وهل ستظل الحال هكذا أمام عزم الرجال الذى أوشك أن ينضب؟ وكم بقى من ضلوع جابر سليماً ؟

أشار عليهم أحدهم أن القتلة لابد من إحكامها، وأن هذه الطريقة لن تجد بشىء مع عناد الشجرة، فاقترح أن

يأتوا بمنشار لينتهوا من كل تمرد ويحتثوا كل عصيان، وفعلا وجد الاقتراح صداه فى نفوسهم المنهكة، فذهب بعضهم ليأتوا به، وارتمى الآخرون يلتقطون الأنفاس الملوثة بكراسى الدخان، ولتدور من جديد أكواب الشاى الأسود على ماء غير صاف .

انتهز جابر الفرصة، فألقى بنفسه بين أحضان الأرض يتوضأ بثراها ويسبغ وضوءه بتقلبه مراراً على وجهها كى تلامس كل حبة من ثراها الضائع كل ثنايا جسده، ويتطهر من تلك الأفكار الخبيثة التى تشغل باله تجاه عباس وأمثاله، ثم ما لبث أن ذهب إليها واحتضنها بروحه وصفحات شفتيه الدائمة الجفاف، وأطال من فترة صمته أمامها فى خشوع تام، يصلى ركعتين ربما كانتا احتضاراً مبكراً على روحها البريئة، الصاعدة لا محالة، دونما جدوى ، أو مقاومة، أو قتال، استطرد بعد فترة الصمت هذه وهمس إليها بهمستين بهما جل ما اختزنه من سنين طوال وراء ضلوع صدره المنهكة التى أذابتها ضربات المعاول وقدما عباس حسرات وحسرات، يتصلب

فى خشوعه حتى يرتجف، وكأنه يطلب الصفح على ذنوب لم يرتكبها بعد، وربما لأن الحديث عن عباس يجعل قشعريرة الغضب والكراهية تدبان بين المسامات فتسدها وتتولد طاقة بركانية هائلة تنفجر عناقيدها فى مثل لحظات الضعف هذه داخله، فتطيح بالأحلام، وتشيط الأمانى، ولم يعد من أمل لا فى الإنصات ، ولا فى الكلام فى أى شىء .

– ما أقسى رتم الحياة عليك ، حتى فى شكواك يا جابر لابد أن تفرغها بسرعة قبلما يأتى منشار الهلاك ويجتث كل حدود الاستجابة والطاعة، يبكينى حالك ، فإلى متى، إلى متى يا جابر تتنهد والدموع على الحزن الذى هان على نفسك ، وإلى متى يهون عليها الحزن وتهون هى عليك ؟

يلتصق جابر بها ومحراب جذعها أكثر ويهمس :

– وماذا عساى أن أصنع ، فلم تعد الحال كما كانت..

– يا جابر يا جابر إن الكل فى رحيل مستمر ، وكأن ادمان الهروب أمسى طبيعة الأشياء ، حتى الفجر جاء

سراً دونما يعلمنا به أحد، رغم أنك يا فجر ننتظرك منذ أمد طويل ، فلم نعد نملك سوى انتظارك والأمل ...

– وإلام الانتظار والأرض قد ضاعت، وجلستنا بين تلك الأحضان لم تعد لنا، لقد أمست حياتي مع هؤلاء بلا نقاء، خرب البيت منذ ما بيعت الأرض وكثر المال ، تركني عباس واشترى ماكينة بدلاً مني لم يعد لي في الدار سوى أربعة جدران أفارقها لك طوال النهار ، ولم يسأل عني أحد طوال الليل، أبكي ولم يسمع بكائي أحد ، أئن ولم يسل أنيني أحد ، حتى عزيزة أمست هي الأخرى ساهمة منذ ما باعوا بعلها، فالحال لم تعد كما كانت، والقضية ليست قضية رحيل أم انتظار، إنه التغيير ، فقد تغيير كل شيء إلى الحضيض .

– رحيل أم تغيير، حب أم كراهية، فقر أم غني، فأهم شيء هو الحد الفاصل، وأنت يا جابر ، أنت حدي الفاصل الذي به أرنو إلى الأشياء ، بك أنت أتحرك من سكوني ، هذا الذي آثرت أن تسميه سكون رغم إلحاح ضميري عليّ بالموت البطيء ، دونما أدري، أو تدري، أو

يدرى أحد من العالمين ، فكم من مرة تسأل فيها عزيزة ولا جواب ، تسأل روحك ولا جواب ، تسأله هو الآخر ولا جواب فسمه ما شئت : رحيل، تغيير، إيمان، كفر، موت، حياة، لكن لا تنتظر، لا تنتظر ..

– مولاتى أستحلفك بالله أن تدركى أنه فى مثل لحظات الضعف هذه لا يملك الفرد غير الغليان على موقد من الكلمات الرنانة ذات المعانى الضخمة التى لا تجدى بشىء ..

– وماذا فى يديك ؟

– لا شىء .. لكن لابد من حل ..

– لابد أولا من الموازنة بين إمكانياتك وما تريد صنعه.

– ليس من واجبى أن أقفز إلى عقول من حولى لأعرف مقدار القوة التى يختزنونها حتى أعاملهم على أساسها.

– يكفيك احتياجه لك ولو فى أتفه الأشياء.

– أنا ما زلت من لحم ودم.

– وماذا يرضيك ؟

– الفرصة ..

– أعطيت من قبل .

ورفضت ....

– تلك مشكلتك .

– مولاتي .. أرجوك حاولي أن تدركي جيدا معنى أن يشتري عباس دراجة ويتركني ، أن يجتثك من جذوتك في صمت مطبق ، أن يبيع الأرض بلا اعتراض ، ورغم كل ذلك ترقد عزيزة بالدار لتأتي لهم بالخير الوفير ، لقد سئمت كل هذا ...

– ذاك ها (نصيبنا معه ..

– وقدري أن استمر في الحياة معهم ، أليس كذلك ؟ لقد سقمت .. سقمت ...

– أرحل .

– وأنت ؟؟

– لقد شلت إرادتي منذ ولدت .

– وعزيزة ؟

– لا تقلق .. ستموت ..

– والأرض ؟؟

- ستموت ..

- رباه ... إن لم تدرك عبادك فلن تعبد على هذه الأرض بعد اليوم .

يشتعل ارتجاف الخشوع بين مسامات جابر فيسدها عندما رأى الرجال آتية من بعيد تحمل أعناقهم منشار الهلاك ، الغليان فيه يتأجج ، والخوف يظلم أمامه الطريق، يتلفت حوله لا يجد شيئاً ، دوار رهيب انتابه ، يكاد يسقط مكبوتاً على الأرض، يحاول أن يصنع شيئاً هذه المرة، يطيح برقبته ناحية الاتجاه الآخر فى عنف بالغ، وانطلق يجرى حتى حافة الغيط ، ثم أتى من بعيد متعجزاً على قدمه المتورمة، ونطح جذع الجميزة بشدة متمرداً على ربه وعلى صلواته لها وعلى الاستسلام والانتظار، والعجز، والسكون، والضعف، والإيمان ، وعلى كل شىء، فارتدد الصوت خافتاً حزيناً وكأن جذع الجميزة قد تقوس كى يمتص الضربة برفق ولا يصيب رأس جابر بأذى ، يعيد توضوءه على عجل ، ويمضى ثانية حتى حافة الطريق السريع صارخاً فى الفضاء

بنعيقه الحاد ، يؤذن فى الناس بما همست إليه به من أنباء ستشاهد أحد غثها بعد حين ، ويعود فينطح جذعها، فيتقوس ، فيعيد توضوءه، ويصرخ فى الفضاء، وينطح، فيتقوس، يريد أن ينهى صلاة العمرْ كله بختامها وتمردها وأقصى طاعة فيها فى لحظته تلك التى يقترب فيها منشار الهلاك خطوات معدودات من ربه اليتيم .

الرجال تتابع فى بلاهة واستغراب ما يفعله جابر ، يعلق أحدهم بضحكات سخرية واستهزاء ، فيرمقهم جابر بنظرة تشنج، فيطيح فيهم بفزعه وتمرده، فيتفرقون متقهقرين خشية الأذى من هذا الهائج الطائش، يشير عليهم عباس بتقييده، يطلبون المساعدة، يدرك جابر الا جدوى من تمرده بعد ملامسة حروف المنشار لصفحات الجذر، يهدأ، فيفلحون، وينتحى له جانبا ذليلا فى قيوده، أمينا فى خشوعه، متجهاً بكله إلى محرابها، يواصل صلاته وحده إماما ومأمومين على روح ربه الطاهرة وإن كانت هناك بعض الطيور غير مستقيمة الصفوف، هاربة من مسجدها الذى أمسى بلا أمان ، تردد صلواتها فى

الفضاء، وترسم بصفوفها غير المنتظمة حقيقة سائدة، عقلها جابر أحياناً ، وقد آن أن يعيها جيداً ، فرغم كل ما يحدث وما حدث فالغراب والحمار دائماً أعداء، يتناسى ، ويحتضن فروعها بهمستين آخرتين، بينما الرجال تواصل نشر الجذر الذى استجاب أخيراً .

تصاعدت روح الجميزة رويداً رويداً على نغمات أغانى الرجال وصرير المنشار ، ذراتها تنتشر مع الرياح فى كل مكان حاملة ناقوس الخطر ينذر أهل البرية بأن هنا تلك الأغنية القديمة التى طالما رددتها الصبايا حول الجميزة شروق شمس كل يوم وغروبها ستنتهى فصولها ، ولن يعد أحد بعد اليوم طالع الشجرة، والبقرة ستظل حبيسة الدار حتى تأتى بخير ، أو دم ، أو تموت، والملعقة جعلت الجسد نصفين لا ثالث لهما ولا وسط بينهما :

قطرات الدم تتساقط من العيون عندما سقطت الجميزة مبتورة الانتماء بين جسدها وروحها المدفونة فى أعماق الأرض الضائعة صانعة غمامات كثيفة من الضباب الأسود أعدمت الرؤية على صفحات التاريخ

لسنين طوال لحظة ما ثارت فروع الجميزة وأوراقها ثورتها العارمة العنيدة ، ولطمت وجه الأرض بعنف كى تفيق أو تهرب قبلما يأتى عليها الدور غداً أو بعد غد ويشطرون هى الأخرى جسدها .

رحل الرجال ، وجلس عباس يلتقط أنفاسه ، أما جابر فقد نوى أن يقضى يومه الأخير صلاة ختام على الجسد كاملا قبل تفتيته. يتذكر والدمع، يتذكر والعرق، يتذكر والدم ، يصرخ ، يناجيها ، يمسك بوجنتى أوراقها ، بأجساد فروعها المشوقة، كل استراح من أول وخزة إلاك ، بضربة سيف أو سهم استراح إلاك، عذبت حتى فى مماتك، مولاتى اتسمعين، أناديك، إن رائحتك لن تفارق الفؤاد لحظة ، أسألك بالله همساتك سأظل مدينا بالرد عليها حتى الممات ، صلواتك سأحافظ عليها ركعة ركعة وفرضاً فرضاً ، أحاديثك لن تصبح حفريات مدفونة مع مراكب الشمس ، لا لا لا ولا مع مراكب القمر ، فلكم حدثتينى عن الحب والخير والنماء وأنا أنصت ، تحدثيننى عن الرعاية والأمان وأنا أنصت ، عن التضحية والوفاء

والضحايا وأنصت، عن الظلال، الاستقرار ، الانتماء ، وعندما آن لى أن أتحدث لتسمعنى جذوها من جذوتها، ليبنوا عليها ويحرقوا على روحها الصافية ما يبنون ويحرقون، أنا لم أخنك بصمتى، ولم أخذلك بضعفى، لست بطلاً شحت يداك ، سألتك ماذا أصنع، فقلت لا تنتظر ، سألتك كيف ، قلت الرحيل ، حاولت مولاتى الهروب سويا ، بالقلق ، بالإدراك ، بالحل ، حاولت بالحب، وفشلت ، ورقادك هذا أعلى نسبة فشل حصلت عليها ، سألتك عن التردد ، قلت كلا ، عن الميوعة ، قلت كلا ، سألتك عنك ، قلت كلا ، أدركينى من أبنائك بالله عليك ، أدركينى مولاتى قبلما تدور الدائرة وأرقد جوارك فى صمت كريه ، فلقد سئمتك سئمتنى، وسئمت كل شىء، إلا أن كل الدلائل تشير بأنه كان لديك حق فى أنه ليس هناك أى داع للقلق .

لم ينته جابر من صلاته بعد ، رغم انحدار قرص الشمس ، وتقدم صفوف القافلة ، فقد أزف الرحيل ، وعم قليل سترخى الستائر ، ويرحل جابر بلا عودة ، فى

انتظار دعـوة للاشـتـراك فى عـرض جـديد ، أو إعطائه جائزة على عمله السابق الذى بذل فيه حياته .

ولكم يتمنى ألا يرحل عنها ويطول وقوفه أمامها ويطول بقيـة عمره، يهمس لها وتهمس له ، يشكو لـها وتواسـيه ، يبكى فتربت على كتفيه ، ينام فتحتضنه بفروعها، يصيبها بجنونه فتصيبه برحمتها، هيهات ... وأحدهم يشير إلى عباس بيد يعرفها جابر جيداً، فهب يلملم المتاع ، ينادى على جابر كى يستعد للرحيل ، ويتشاغل بفعل أشياء وتجميع آخر حمل خير سيأخذه من تلك الأرض، ما لبث أن صرخ فى جابر ، فلا لبى، ولا انتبه، فذهب إليه ، يحاول أن يأتى به ، فلا يطاوعه، يحضر العصا وينهال عليه ضرباً، فلم يرتد طرف جابر ، ويستمر فى صلاته متمتماً بشفتيه الغليظتين الدائمة الجفاف، وكأنه يصلى لكل جزء من هذا الجسد الهلامى الهامد صلاته الخاصة به ، ولا يريد أن يختم صلاته هذه الأعوام .

حاول عباس أن يصنع شيئا كى يرحل قبلما يدلهم عليه الليل ، يزيح وجه جابر عن جسد الجميزة فلم

يستطيع يشده بعنف من ذيله ، فيشعر جابر بالإهانة ، خاصة أنه لم يختم صلاته بعد ، فلم يجد بداً من رفسه بقدمه المتورمة ويكومه تحته، يستصرخ عباس بأحد المارين كي ينقذوه، يأتي بعضهم ويزيحون عباس من بعيد عن دك أقدام جابر، ويحيطون به، محاولين إمساكه، يعامله أحدهم برفق عله يمتثل ، لكن بلا جدوى، ويستمر في هياجه عليهم جميعاً ، يدرك أن أدنى حركة سيفعلها الآن ستقرر حتماً مصيره الأخير ، خاصة أن حامل الكلاكيت غير موجود، والأحداث ليست مجرد بروفة، يزيد من هياجه، ويجول ويصول هنا وهناك ، يضرب بعنف بالغ، يدور بهم حول الجسد الممدد لعل أحدهم يدرك في دورته علام كل هذه الثورة، وما سببها، وكيف الحل، ومتى يأتي، وأنه لابد من المواجهة وعدم التردد، يسترسل جابر في ترديد أحاديثها عليه، يوقف عند آخر جملة تفوهت بها له ، بأنه ليس هناك أي داع للقلق . يفلح الرجال أخيراً في المسك به ، بعد ما همد جابر تماماً، وكأنه استجاب هو الآخر لمنشار الذل تحت طاعة من لا طاعة له ، ويقف

متجها بكل جوارحه وفوران دمه تجاهها، متمثلا لتحميل عباس لظهره بأكوام من الأتربة، وأكوام من الأسى، غرس فيها فأسه ومنجله، غطاها بحزم من الطعام الأخضر هرب لين الخضرة من ثناياه فأمسى جافا كالحياة، ذا خضرة معتمة كالأرض الضائعة، وضع أعلاها حمل من الأولاد لم يتجاوز السبع سنوات، لم يشك عباس يوما فى أمانة جابر على ولده حتى فى لحظته تلك التى يسود فيها التوتر العام، والولد لن يرحم اليوم ظهر جابر ، بعد ما رأى ما فعله فى أبيه، كما أنه لم يعد حبيس الحركة بذلك الحبل الذى يلف آخره حول رقبة عزيزة، يشده أحيانا إذا أراد أن يمسح ما ينزلق منساباً من أنفه فيكاد يخنقها ، ويقسو عليها أحيانا أخرى إذا بطئ سيرها فتكاد تبكى، لكنها أين هى اليوم ؟ أكاد أسمع أنات وضعها وحيدة، كان الله فى عونها .

جمع عباس ما تبقى من متاع ، وربطها على شبكة دراجته البخارية، ما لبث أن أدارها بعد ما سد فتحة المياه بكومتين من الطين، ثم ركل جابر بقدمه المنغمسة

بالعفن الركلة إياها تأهبا للسير، وانطلق كما انطلقت الشمس تاركة لنا في كبد السماء قلوبا مشوهة بالحريق، تلهب الضمائر، وتدمي النفوس، وتذيب ذكريات مضت، وأخرى تمضي، أمسى بعضها رمادا وما زال الآخر يحترق .

أمسى الهواء على طول الطريق مخنوقاً بعدما ثارت حبيبات الثرى ثورتها بحجة انسياب ذلك الجسم الغريب من عليها مخافة أن يلحقه ظله ويحاسبه على كل ما اقترفه منذ ما سقط من رحم الوجود - فلم تتعود على ذلك ، وقد آن لها أن تتعود، فالأيام تقذفنا بين الحين والآخر بالغريب والأغرب حتى لون صناديق دخانه الحمراء والزرقاء، رحم الله صندوق دخانه الذي كان بلا لون، معهلش يا جابر ، أتمنى الذهاب إلى الدار لأطرح هذا اللئيم أرضا وأريح كاهلي، لقد أمسى ما كان بيننا من حب مبتورا، ولم نعد نملك سوى أن يرمق كلانا الآخر بنظرات خلسة تحمل من معاني الغدر والحقد والكراهية، بس يا جابر ، أكاد أشعر بأن الشيخوخة ترشق جسدي

خوازيق من الهم والحرمان والتمزق ، فلم أعد أقوى على جرّ قدمي من شدة وخز الألم بها، ولن أقوى على شد حيلى أكثر من ذلك، فلم يعد هناك حنان أيام روح يا جابر وتعال يا جابر ، وشيل يا جابر ، وحط يا جابر ، أمسى كل شىء مبتورا ، كل شىء ، الله ياخربيت اليوم اللى جيت فيه يا جابر .

يوما ما قصعت قدمي، فتورمت ، أراحني يومها أسبوعين كاملين، وكان عند عودته فى المساء يدلكها لى بالزيت ويلفها بالصوف حتى طابت وشفيت تماما ، واليوم، أو هذه هى النهاية ؟ كم هو مرير المشهد الأخير؟ كانت أيام هنيئة ، حتى الشقاء كان لذيذاً ، فلم يرهقنى أيامها لا العمل أثناء القيظ ، ولا الأحمال العاتية ، فقد كان يداعبنى بكعبيه اللذيذين ، كانت لذة عارمة لحظة امتطائه ظهرى ، فأنطلق به فى حنان بالغ أحن من كل درجات الدنيا .

قفز الولد جالسا بجوار أبيه الذى وصل منذ زمن ، وقذف جابر بما يحمله وسط الدار ، وهرول تجاهها لم

يعد يملك أمل سواها ، دخل عليها ، احتضنته بصراخها المفجع من تحت تلال التبن ، يشد عروق رقبته كالمتعاد، ويرتفع برأسه إلى الأمام، ويزاول انتحابه عليه قبلها ، تسأله عم حدث ، يجيبها بأنه ليس هناك أى داع للقلق .

– كيف ؟

– ما جاء هباءً راح هباءً يا عزيزة ..

– ألم أقل لك لا تجلس وحدك تحت فروعها لحظة ذبحها، فنحن لم نزل حملان صغيرة ضلت منذ وقت طويل الطريق ..

يرتمى على الأرض فى غيبوبة من طفح الهم، ينتبه على صرخة ألم قذفها القدر إلى أحشاء عزيزة، يتصلب فى وقفته يدس رأسه فى تلال التبن ، يلامسها فى يأس كى تشد من حيلها الممزق، أسلوبه فى حديثه معها مفعم بالغموض، والكفر واليأس المحبط ، اعتاده، ولابد أن تعتاده هى الأخرى، تنكش برقبتها تلال التبن، ترقمه ، تتقابل الأعين فى مرآة دموعهما، يبتسمان وكأن شمس ألف عام لم تشرق قبل هذه اللحظة، يصمت، يريد أن

تتكلم هى ، فليس لديه ما يقول ، يسألها عن تلك الحكاية التى كانت تحقنه بها من آن إلى آخر، تتنهد عزيزة، ويرسل رضاب مخاضها ذكريات السوق، يوم باعوا بعلها، وانتزعوه دون مقاومة، ومن يومها، وهى مازالت تعيش على هذه الذكريات بلا ملل أو تردد، تجذبها الذكريات ، فتخرج من بين تلال التبن ، تتناسى آلام المخاض، وتسهب عن بعلها وعن الأرض، وعن أحلام الغد بين فروع الرب اليتيم، يقاطعها جابر :

– يا عزيزة .. ما جاء هباءً راح هباءً ، وأخذ يدك رأسه فى الجدار، ويدك أحشاءها بقدميه، تئن، وتحبس صرختها، وكأنها ارتضت مصيرها على يديه هو دون أى أحد آخر، لم تملك حتى الحق فى الصراخ أو الاستغاثة، لا تريدها، وكذلك هو ، فما جاء هباءً راح هباءً... فى الصباح دخل عم صبيح الدباغ يجر جابر وعزيزة للانتفاع بجلودهما .

ثانيا : الكلب

ألقيت الصباح على عم إبراهيم البقال، وجلست القرفصاء أعد واحدا وعشرين رغيفا، كان صباحا حارا، لم تنم شمسه، وكان إبراهيم البقال مشغولا كعادته كل صباح فى إقناع ابنه بمصروفه اليومى، لكن الولد يرفض، ينساه الأب لحظات، ويلبى حاجات بعض الزبائن، ويلتفت فيجد الولد مازال ينتظر رافضاً المصروف، يحاول إقناعه.. ثم ينسى الحكاية، ويزيح بعض الزبائن من الجانب، ويمد رقبته على آخرها، ويبصق ثم ينف ويسعل ويبصق ثانية، ويمسح أنفه بكم جلبابه الداكن، ويلتفت فيجد الولد رافضاً، ثم يبصق وينسى .

فيلم يومى اعتدناه جميعاً نحن زبائن الصباح، نرقب مشاهده ونحفظ صوره، وإذا اختل مشهد أو غابت صورة عن رؤيتنا، يصيبنا الإحساس بحرارة الجو المرتفعة

ولزوجة هذه الحياة، وأن هذه المشاهد أصبحت مملة، وأن الكادر منصب دائماً منذ الليلة الفائتة، حتى الشمس لم تغب طوال الليل ، كى تحرقنا من أول النهار بلسعتها ، التى تشبه لسعة المقشة التى يجرى بها إبراهيم البقال وراء ابنه ، ويضرب مؤخرته بطرفها .

كنت أعلم أن الرجل سيزيد المصروف قرشاً ويتناسى لحظات، ثم يزيده قرشاً آخر حتى يرضى الولد، ويمضى إلى حال سبيله، بعدها يبدأ إبراهيم البقال فى منولوج اللعنة الأبدية، يلعن أمام المزدحمين الأبناء وجدودهم، ويلعن خلفتها ومن يريدها، ولا يكتفى بذلك .. بل يدخل فى مقارنة بين الأجيال، ويسرد قصة كفاحه وبطولته التى يحرص أثناء حديثه عنها على جذب الزبائن، ويشركهم فى الكفاح معه، يبحلق فى عيونهم فرداً فرداً، وكأنه يخاطبهم شخصياً فى حدث جلل، ولا ينتظر رأياً، بل الموافقة الكاملة على ما يقول، ويزيد الحكى عمقاً ، كأنه يشدو بقصة «أبو زيد» الهلالى، التى تتطلب الحركة الدرامية بعض الانفعال والتأثر، كأن يهز يديه بما يحمل

معنى الرضا بالقضاء والقدر، أو العنف فى رفض الأمر الواقع، ولو تطلب ذلك صوتاً من الأنف،، أو حشرجة تعطى صوت الألم الدفين، وتزيد من شجن الحديث، ولا يمنع هذا استخدام بعض الألفاظ والأفعال الخارجة، ولا نملك فى النهاية إلا أن نصفق بحرارة لبراعة أداء إبراهيم البقال الصباحى، الذى جاء اليوم بجديد، وينسى الزبائن عطلتهم، وينحنى فارداً طرف جلبابه الداكن دائماً فى تواضع الفنانين .

اخترت العشرين رغيفاً فى الحقيبة، ومسكت الرغيف الواحد والعشرين فى يدى، عدهم ورائى إبراهيم البقال بسرعة مدربة، مستخدماً الأصابع نفسها التى مسك بها أنفه الغليظ، كى ينف بعزم وقوة ما فيه من زفير وهى الأصابع التى كتب بها فى النوتة الزرقاء أرقاماً، ثم أعطانى الجبن وصحن الفول ، فعلمت أن مشاهد اليوم قد انتهت .

مضيت متشاغلاً بفرحة الكلب عندما رآنى أحمل رغيفه فى يدى، وعادة ما اضطر لاقتراض رغيف الصباح

من العشرين، وأتحمل بعض الشتائم من أمى على الريق،، ويزداد حلقي جفافاً فى بعض الحالات ، عندما يبلغ حكمها عليّ قسوته، فتنقص من غذائى رغيفاً، وإذا اعترضت أو تذمرت لاحقتني بقولها المعهود : والرغيف الثانى أكله الكلب !

والأمر فى الظهيرة وبعد العشاء يختلف، إذا كنت احتفظ باللقيمات الفائضة، وأخزنها جنبا، أملأ بها جيوبى ساعة خروجى، ويضمن الكلب بقية طعام اليوم .

لم أشعر بلذة فى مداعبة الكلب هذا الصباح، رغم تمسحه ومهارة حركاته البهلوانية فى التقاط لقيمات الرغيف من يدى وإعجاب المارة به ، لكننى سألت نفسى: لماذا لا أستطيع أن أقذف الهواء وأدك الأرض بهذه القوة، ولماذا لا يأتى ابن إبراهيم البقال مكانى، وأذهب إلى مكانه، يداعب الكلب الآن، ويختزن ثمن رغيفه، ويلهو معه كما أفعل، أما أنا فهل أرضى أن يلعن إبراهيم البقال جدود أمى وأبى .

ألقيت بآخر الرغيف ودخلت مسرعاً لأجهز مع أمى ما

أجهزه كل صباح، ثم أوقظ إخوتى، وتذهب هى لتوقظ أبى، وما تلبث بعد تناولنا الإفطار أن تشير على بلم الأطباق ومسح المنضدة ، وتجهيز الأكواب لتصنع لنا هى الشاى .

خبأت بعض اللقيمات التى فاضت من فطورنا، وأعطانى أبى ما معه من فكة لشراء الجرائد ، وحملنى إخوتى بعض ملابس خروجهم لأتركها عند المكوجى، أتانى الكلب فرحا ، فرميت له ما معى حتى أقنعه بمصاحبتى، تزدحم الأسئلة فى رأسى، ولا أجد لها إجابة، أراقبهم وأسأل نفسى لماذا لا يؤدون ما أؤديه ، ولا يقومون بما أقوم به ، هل لأننى أصغرهم، فلماذا خلقنى الله صغيراً، ولما أرتب هذه الأسرة وأفرش عليها الملاءات ، مادامت ستعود بالليل إلى النعكشة ، تفركها الأحلام ، لكن لابد .. ولابد أيضاً من كنس الصالة والحجرات ، كما تنصح أمى ، حتى حجرة الصالون لابد من المرور عليها بالمكنسة هى الأخرى ، رغم أنها لم تفتح ليلة أمس .

أنهيت عملى المعتاد وجلست ألتقط أنفاسى، وأستريح

بعض الوقت ، أفكر فى أسئلة جديدة وأوضاع أخرى ، وفى البحث عن طريقة أقنع بها أبى كى يساعدنى فى استجابة أمى للخروج إلى الشارع ، واللعب حتى موعد الغداء ، لكنها لاحقتنى بمكيالين من الأرز، كى أنظفهما، حاورتها وقلت لها إن الوقت مازال مبكراً، لكنها اكتفت بالنظر إلى ، فسكت، وجلست بلا تفكير فى تمرد جديد أو أسئلة جديدة، أنظف الأرز وأعد حباته من باب التسلية .

كنت قد أشرفت على ألفى حبة، وإذا بصوت طلقات نارية بالخارج يغشانى وزعيق حاد من الأولاد فى الشارع بعد كل طلقة، فطوحت ما فى يدى ؛ وخرجت مسرعاً، لم أهتم بنداء أمى، التى حاولت الإمساك بى ، لكننى لويت ذراعها بعنف ، وفلحت فى الإفلات منها ، وتركتها تسبنى، وتتوعدنى كما تهوى ، ولحقت بالأولاد الذين كانوا قد وصلوا إلى آخر الشارع، وجدتهم يحيطون رجلا قصيرا.. ونحيفا، لا يكف عن شرب السجائر ، ولا يؤثر دخانها على عينيه الضيقتين، نقترب منه بحذر، ولا نتعاطف مع طلقات نيرانه، لكننا كنا نفرح بالملبس

المحشو الذى يلقيه إلينا بعد كل طلقة.

قالوا إن اسمه السماوى، وإنه أثار الفزع والذعر فى كلاب الشوارع كلها منذ الصباح الباكر، تذكرت الكلب وخشيت أن يصيبه ما أصاب هذه الكلاب الغارقة فى دمائها، تنتظر عربة البلدية، التى تلمهم من أول الطريق .

حاول أحد الكلاب عبور الشارع ، لكن طلقات السماوى لم تدعه يمر بسلام، وآخر ملقى جوار عمود النور، وثالث .. ورابع .. وخامس .. والأولاد يصفقون كلما سقط كلب جديد، وبعد كل سقوط يقذف لنا السماوى بحبات الملبس المحشو ، فنتشاجر عليها، ونحاول الفوز بأكبر عدد منها وانتشالها من التراب والطين .

لمحت الكلب آتيا من آخر الشارع مذعورا ، الخوف يفزع خطواته، ولا أدرى ما الذى جاء به إلى هنا فى هذه الساعة ، بدأ الأولاد يترقبونه ، بعد ما التفت إليه السماوى، ورفع بندقيته فى خفة وثقة إلى عينيه ، والكل ينتظر الحبات الجديدة من الملبس المحشو ، ويتمنى الفوز بأكبر عدد منها ، لم أملك إلا الجرى إلى أول الشارع ،

وأخـــذت الكلب بين أحـــضـــانى ، لحظة انطلاق طلقـــة السـمـاوى ، صـرخت .. وصرخ الكلب صـرخـة مكتـومـة ، تاهت آلامـها عندمـا عبرت الشـارع عربة فـخمـة ، جذبت أنظار الجميع ، نافذتها الخلفية مغلقة نصفها ، والنصف الآخـر يطل منه كلب أنيق ، تتـدلى سلسلتـه الذهـبـيـة من رقبته ، وتصنع لحناً رائعاً، مازال صداه يلعب بأذنى حتى اليوم .

السكرتير

سـألنـى فى تجـهم : مـا الذى جاء بك إلى هنا ؟ .. لم أتوقع السؤال فى بداية الأمر ، استغربته عندما نطق به سكرتير الوزير ، لحظة دخولى المبنى الأبيض، خصوصاً أنها المرة الأولى التى يسألنى فيها هذا السؤال، وبدأ يلاحقنى فى الأماكن التى اعتدت التواجد فيها إلى جواره، ناسياً ابتسامة البشرى التى كنت ألمحها فى عينيه، كأنه يبارك خطواتى وتواجدى فى أماكنه .

فى هذا الصباح كان صريحاً فى عداوته، وزاد من وقاحته أن أمر أفراد الأمن باصطحابى إلى خارج مبنى الوزارة. وشدد عليهم ألا يسمحوا لى بالدخول مرة أخرى. لحظتها شعرت بحد السكين يذبح شرايين الحلم الذى داعبنى منذ سنوات. وتواطأت على كبريائى وقلت فى نفسى : لعله غاضب هذا الصباح، أو أرهقه العمل

الكثير، أو فسدت صفقة من صفقاته، وربما رآنى اتبع خطاه، فظن بى السوء، وبدأ طردى كى يمسح آثاره ومعالم الطريق حتى أضل .

يسألنى الآن عما جاء بى إلى هنا وكان هو النجم الذى نهتدى به فى حياتنا، وحلمنا فى العيش إلى جوار الكبارِ ، والبعد عن ناموس الناحية وأوحال فقرها، كان الضوء الأخضر لحاجاتنا وطلباتنا عند الحكومة، والمثال الذى يطالبنا آباؤنا باحتذائه. أما تراب سيارته عشية كل جمعة، فكان يعفر فى وجوه الخاملين، والذين ركنوا ظهورهم إلى حوائط مساكنهم النيئة بعد مغارب الأيام. الآن يسألنى ، بعد ما تركت الأهل والأرض، ونسيت الزرع والقلع، وتبعنى - كما تبعه - كثيرون ، وجدنا فى ريح سيارته عند ذهابه ومجيئه، القدرة على الطيران، والأمل فى اللحاق بخلاصه .

والحقيقة أننى كلما رأيت حمرة خديه قسمات وجهه تتحدث بالنعمة، تأكد لى أن الطريق إلى رغد العيش أسهل مما أتخيل، فقط.. علىّ أن أتبع خطاه فى كل

شيء، ولو ظن بى الناس الظنون .

كان كل ما فيه يبهرنى : شكل أصابع يديه الأكثر استواء، لون أظفاره المختلف، أسنانه الناصعة بلا خدوش أو اعوجاج، علياؤه فى حساب الآخرين على طلباتهم وهدايا المجاملين، ساعته الفخمة، طرف السلسلة الذهبية التى تبدو حول رقبته على استحياء، فيخطف بريقها الأبصار ، شاربه الكث، المحمول على جنبه الأيمن، والطبنجة السوداء على جنبه الأيسر، ماركات ملابسه المستوردة وألوان قمصانه الأكثر زهواً، طريقته فى معاملة الوحيدات وقدرته على اكتشاف حاجاتهن، حتى مؤهله المتوسط الذى يتناساه دوما، ويكره من يذكره بتخرجه فى قسم لحام الكهرباء بالمدرسة الصناعية ، بهرنى هو الآخر، ويكفيه أنه يتحلى بذكاء لم يملكه أصحاب الشهادات العليا، ويحتل منصب سكرتير الوزير منذ سنوات، دون أن يزحزحه أحد. ومن طول تأملى فيه ، خشيت أن يتحول الأمر إلى فتنة به، وغيرة حمقاء، وحسد أسود على النعمة التى أمسى عليها، وركنت إلى الإيمان

بدعاء الوالدين فى هذه الأمور .

لم يبهرنى أحد غيره، ربما لأننى عشت الحلم نفسه، وعرفت بيتهم وإخوته، وكيف أسند أبوه ظهره إلى حائط بيتهم، بعد ما خسر أمواله فى بورصة القطن بالإسكندرية.. ومات. كنت مثله، خاطبت فينا المدينة أوتاراً خفية، ويدفعنا الأمل إلى غزوها، وإحراز الهدف تحت سمائها، وفى الأماكن نفسها التى سبقنا إليها سكرتير الوزير. أستعين بخبراته وطرائقه فى عرض بضاعته، وأحياناً بخبثه وكذبه، وأقلد فى كثير من الأوقات زيفه ورنين صوته، وانتظر بفؤاد فارغ اليوم الذى يذهب فيه الوجه الممصوص من المرآة. وبعد سنوات من الصعلكة لم يبق فى ذاكرتى غير الدعاء بألا يحرمنى الله من خدمة البيوت ومكاتب الكبار .

فى الأيام الأولى بدا وجهى مألوفاً لديه، وكثر ترددى من خلاله على المبانى الحكومية والمكاتب الخاصة. وعندما طلب منى أن أمر عليه فى مكتبه، قلت فى نفسى : الآن مسكت ببداية قصة الكفاح التى سأسردها فى فخر على

مسامع الآخرين .

في الطريق إلى مكتبه كنت أمر على نيل بولاق أبو العلا، فتغسل صفحته روحي من الوساوس والمخاوف ، وبعد العبور إلى الضفة الأخرى تجتاحني رائحة السكرتير التي تزكم الأنوف منذ سنوات.. فلا أبالي ، حذروني من هذه الرائحة التي امتدت من وسط الدلتا لتشمل المناطق المحيطة، فقلت آن الأوان لأتفرغ بالكامل لتوطيد علاقاتي بعلاقاته، وإحكام المراقبة على تصرفاته في الأمور كلها، انتظاراً للحظة المواجهة .

كان لا يكف عن الحديث عن الطرق المستقيمة والحاجات الواضحة والأشياء الحلال ، ويؤمن بأن المرء لا يحتاج سوى هدمة نظيفة، وأكلة حلوة، ونومة مريحة، لكنه بعد ذلك بدأ يتخفف من أعباء كثيرة أكلت روحه ووقته، ويحكي عن ذلك الفرح البعيد الذي يسعد به المختفون وراء المشاهد، لأنهم يعلمون الحقيقة، قد يبدون من السذاجة التي تدفع الآخرين إلى التعاطف معهم، وقد يستعينون عند الحاجة بتراث الخبث الوفير، لكنهم

يمتلكون لمعاناً فى العيون، ويقظة دائمة، ولا يهوون الأضواء التى تفضح ما يفعلون فى الخفاء، يخترقون كالسوس عظام المدينة، ويؤمنون بأن الخلاص يكمن فى الانهيار التام .

بعد طول دوران قصدت الهروب منه، ومن جحوظ السؤال فى عينيه، تجاهلته ربما خرست أصواته المتأججة داخلى، لكنه فى الصباح الموعود أدرك خطورة المسألة ، وكبر السؤال فى رأسه، ولم يتردد فى طرحه بهذه العداوة الظاهرة ، دون أن أملك الإجابة عليه .

كأن المكان ضاق، أو كأن صدرى أوسع من الهواء المحيط، وأن ما يتسرب إلىّ الآن هو الاختناق، وعلىّ إذا أردت الفوز أن أفرق بين الأماكن ، قبل أن أعدم كل شىء، وفى النهاية اكتفيت بإشاراته الواضحة إلى ضرورة البعد عن حضرة الكبار وأماكن تجمعاتهم التى نغصت علىّ المعيشة ، وجعلتنى كالمجنون أطارد أشباحاً، لا يعرف ملامحها سوى الحالمون برغد العيش . يطالبنى فى أحاديثه الأخيرة بالتخلى عن الحسرة على ما فات ،

والرضا بالمقسوم ، والركون إلى قناعة النفس، بحثاً عن السكينة والاحتماء بواقع الأمر، ربما هدأت ملاحقتى له، فيرتاح هو أيضا. وعرفت أنها القطيعة. فلو فلحت فى الهروب من أماكنه، فكيف الفكاك من السنوات التى مضيتها فى طريقه، ومن أيدى الذين يخنقوننى ويضغطون بطلباتهم ومشاريعهم ومكاسبهم كل صباح.
هو لم يدرك أسرار هذه المبانى، التى أرهقتنى فى البحث عنها، لم يقف أمام أسئلتها، التى تنعى حظها فى صمت ، وتنتظر بلهفة قدوم العارفين الآتين، الذى يحفظون المتن عن ظهر قلب ، ويحركون الهواء فيها والأنسجة . آه لو عرف الآخرون أن الأماكن تنادى ساكنيها، لأنقذونى من هذا الاختناق، وإذا لم أسكنها أنا، يسكنها آخرون، وسيأمرون فى أول يوم بخلع اللوحات الرخامية، وخلع عيون المتطفلين، وانعدام الأسئلة . موحشة هى الأماكن الخالية من العارفين، ومقفرة، وبلا أمان، ما الذى تهمس به جدرانها الباردة إذا هجرتها أنفاس الأحبة، أكاد أسمع شوقها الدائم للقادمين، دون أن تتمسك بأحد إلى

الأبد ، أرى رؤوسهم فى اللوحات التذكارية متراصة إلى جوار بعضها، كأنها جماجم فارغة من المحبة والعدل، أما الأفواه ينطلق زفيرها نيراناً تحرق السنين وتلتهم كل شيء . الوجوه أعرفها جيداً، بعد ما صار وجهى مثلهم، ينبئ بالعجز والتراخى، فما الذى أركن إليه لحظة المواجهة، بعد ما أمسيت فى زمرتهم. أذهب إلى أماكن تواجدهم، وأنصت إلى أحاديثهم ، وأبادلهم الرأى فيما يطرحونه من قضايا أو تصورات. وعندما افتضحتنى العيون طأطأت رأسى ووافقت على الترقى، وحسدنى سكرتير الوزير على منصبى الجديد، لكن حاصرنى الندم بشكل لا استحقه.

بدأت صورتى تجاور صورهم، فى خلفية المشاهد التى تنشرها الصحف وتذيعها نشرات التليفزيون . يتلون الصدارة ويبدون فى ستراتهم الغالية وأربطة أعناقهم الأنيقة وجواربهم الحريرية، كأنهم ليسوا من هذه النواحى، ولا ينتمون إليها، هم المخططون للأمور، وأصحاب القرارات، لم أجد فى عيونهم حسرة على

ضياع شيء منهم ، ولم أجد شجنهم إلى ما مضى ، ولم أعثر فى ذاكرتهم على ما يعيننى على الدعاء . فقط وجدت مقاعدهم الوثيرة وغير المتربة، وأوراقهم وأفكارهم التى تجرى بين الأماكن فى سهولة ويسر ، أما أحاديثهم فهى مفعمة بالذكريات الكاذبة، وأحاديث الحاضر الخائبة، غارقين فى نهمهم طوال الوقت، فطنوا إلى حلاوة الهامش والمتن ، فامتلكوا الأمرين، ولم يتركوا للعارفين شيئاً. اتحسس رقبتى الآن، خوفاً عليها من هجوم مرتقب، قد يخنقوننا بأربطة الأعناق الأنيقة، لعلها الأيادى نفسها التى تمتد إلى رقبتى الآن، ربما يدى أنا ، كيف أفر من هذا الاختناق، وأى بوابات زمنية سمحت لنا بالعبور ، لو فتشونا جيداً، لوجدوا أسباب المنع كثيرة : نحتل المقاعد الفارهة فى سرادقات العزاء، والمناضد الأمامية فى الحفلات والأفراح، ونملك البراح، وأحذيتنا لا يعفرها تراب الدرجات الرخامية والسجاجيد الفارسية ، والشوارع أمامنا خالية ، ولنا نصيب فى شقق وسط البلد، ويلفون نعوشنا بأعلام الأوطان . لكن تكفى رائحتنا

لتمنعنا هذه البوابات من المرور ، وكأننا لم نستحم منذ قرنين .

فى الأيام الأولى للمنصب الجديد ، استطعت التوفيق بين المهام جميعاً ، عبر أجندة يومية، عشت بها الحياة ، حتى فترات وحدتى كنت أحددها، أما معارك الحفاظ على هذه النعمة ، فقد استغرقتنى طوال الوقت. ولم أتوقع بعد فترة أن تملأ النشرات الداخلية لعلب الأدوية المستوردة أدراج مكتبى ، وتتكالب علىّ الصبايا ، أملاً فى إحداث التوازن المطلوب ، والبقاء الأطول وراء هذه الحوائط .

بين الحين والآخر تعاودنى الأسئلة ذاتها ، وركنت إلى حمد الله كثيراً على النعمة ، ولم يهدأ بالى بحثاً عن بلاغة أسوقها للموضع المختلف، أبرر فيها دلالات الانتقال بين الأماكن، وأنسى ما أنساه ، فالطريق مجهد وطويل ، والمحتاجون كثيرون، وأصحاب الطلبات يتزاحمون، والمهام جسام ، ولما اكتشفت النتائج الصحيحة للمعادلة ، شعرت بالإعجاز ، وزاد حقد سكرتير الوزير علىّ . المشكلة الوحيدة التى أرقتنى هى عيون تلك الحوائط ومراقبتها الدائمة لما يدور بداخلى. لم أفلح فى صد بلاغتها،

وتأكيدها على تهميشى وعجزى عن الاستمرار .

قلت لنفسى إننى أضخم الأمور أكثر مما ينبغى، فقد اعتدت أن أكوم الأشياء فوق رأسى، ثم لا أجد الطاقة على حملها ، ولا يتوافر لى الوقت أيضا . فما الداعى لكل هذه الحسرة والشكوى من النعمة. وما علىّ إلا أن استمتع بها ، وتزداد أسنانى لمعانا، ويعرض ما بين منكبى ، وتنعم يداى ، وتصبح نظارتى وساعتى وسلسلة مفاتيحى من المعادن النفيسة ، ولا داعى للطبنجة وسأكتفى بالمحمول، وأفعل ما أريد، أما حديث الحوائط وعيونها ، فأنا كفيل باختراع اللغة التى ترضينى. كلهم يفعلون ذلك رغم إكبارهم ومهارتهم فى ألعاب التوازن ، لكنهم يشكون فى مرارة من عيون الحوائط ذاتها، تصيبهم بالقلق الدائم والحيرة المستمرة والنهم الذى لا ينقطع. قد تواجههم العيون فى أى مكان، ربما إلى جوارهم، ، أو أسفل بيوتهم، أو داخل سيارتهم، ربما يتحسسون مثلى رقابهم، لكننى لن أتردد أنا الآخر ، عندما ألمح أحد أبناء ناحيتنا ، فى التجهم وأسأله بعداوة واضحة : ما الذى جاء بك إلى هنا ؟!

حديث الحجرات المتربة

أخذته من يده وقدمته للذين تحبهم وقالت لهم : هو ذاك، زرقة الجبل ساعة المغيب، دفء الكتفين من برد الرصيف، رذاذ سماء القاهرة ليلة رأس السنة مولد السيدة. كوب البرتقال تحت كوبرى غمرة، شفاء الوجع وسبر السنين. كانت صورتى فى عيون أصحابها هامشية، مجرد قسمات اعتادوها هنا وهناك، خلف تمثال الزعيم أو وراء المقاعد الشاغرة، وفى زوايا الحجرات، أما ملامحهم فأعرفها جيدا وانسى الأسماء. فى هذه الأثناء لم يدفعنى إلا إصرار الحناجر ويقينها الحتمى، ولم اراهن على شىء أحلامى المكدسة فى ادراج مكاتبهم، وصورة لى فى زوايا المرايا التى لا تعكس إلا صورهم.

أول مرة لقيتها قلت لها كلاما كثيرا عن دبة الصدر

التى تخشى ظلم الآخرين. لكنها هزت رأسها بالنفى، وظننت أن يتخطفها الطير، لكنها خبأت الدمع فى عينيها، فعرفت انى واقع فى هواها لا محالة . وبدأت أعيد النظر فى غضب الطبيعة ومرايا أصحابها. لم اهتم بأسئلتهم وشكوكهم التى أرقتنى، أطفىء سنواتى المحترقة على بابها بالتبريرات المتاحة، واردد فى زهو : أى سراب يغتالنى وهواها ملك يدى، وفى زوايا الجبل مغارات بنفسجية، سنرحل إليها لو ضيقوا الخناق .

فى الأيام الأولى كنت اضبطها تحتفظ بأشيائى فى حجرها وفى ثنايا حقيبتها المهملة، واضبط نفسى منفذاً لوصاياها، وأحاول جاهدا أن أشرب القوة سادة، اجتاز معها آفاق عيونهم، وأحاديث حجراتهم المتربة، وألمح فى مراياهم كل الخفايا والظنون، ونركن إلى عدل النفوس وقسمات التجارب المشتركة ، نتوه عن بعضنا أحيانا، لكننا نلتقى بعيدا عن المكاتب والحجرات المتربة والنقابات، كالمعانى الكاملة مطروحين على الطريق، نعيد صياغة البديهيات، ونتجنب غضبة الشروق والغروب، يدفئنا

حضن النيل من برد يناير، ونجوب الشوارع والحارات، نعشق خطواتنا فيها، ونحفظ أشكال عمائرها، ونخزن أسماءها القديمة فى رؤوسنا، ونتريث أمام خطها الثلث، وعندما نتكىء على عصا الستين، نحكى لأطفالنا عن لقاءاتنا ودفقات القلوب المحتاجة، وكيف كانت معالم الوضوح ، وكم لمسنا سلالم العمارات فى وسط البلد، وميزنا بين المصاعد الزجاجية والمصاعد المغلقة، وعطلناها بين أربعة جدران، لحظة أن ذقت من شفتيك طعم التفاح المثلج، فظلت برودته فى جسدى تطفىء لهيب البرجوازى الصغير، وتبرر قلة الحيلة، فى هذه الأيام عرفنا لمس التلاشى ويقين الخطوات القادمة. ورسمنا بحارا وأنهارا ومقاعد سط الحدائق وجبالا زرقاء وسجاجيد ومراتب وملاءات وأحبال غسيل وأدركنا كيف أحب جمال حمدان الوطن سرقنا الزمن من الجميع،، وسرقت مراياهم صورتنا الحقيقية من أنفسنا، ظننا أننا فلحنا فى المسك بها، لكن صورتهم ظلت الوحيدة المسيطرة على عيوننا بتؤدة وترو شديدين، نزن حجم مراقيتهم لنا وأحاديثهم

الجانبية، وعندما نهتم بصورهم فى المرايا يتجلى كبرياء اللحظة... أملا فى الاكتمال .

لهم ما يشاءون ولنا ما تصنعه أيدينا. بدأنا نخطط لميادين التلاقى بعيدا عن عيونهم، فى كل شروق لنا ميدان وفكرة، ونفرز مكاسبنا بعد الغروب، يندهشون لتوحدنا ونخشى غضب غير المنظورين ، نقرأ ملامحهم فى المرايا، ونتلمس الحدود بين السطور ، نتلاشى بالغيبوبة، ونسجل أحلامنا فى أوقات التعب . كأن الارهاق المتناسب والشقاء الممتد، ولا أدرى لماذا الحرص على نقاء صورتى فى مرايا أصحابها، كنت أراه نوعا من العدل الباقى فى النفوس، وبعد طول انتظار عرفت كل الأسرار، يدفعنى تمسكها بفرحة اللقاء إلى دوام التبرير، ووجدت فى طاعتها عوضا لسلسبيل البئر المهجورة، وأنها المدار الذى أقسم فى دورانه بليالى المكاشفة. فقط كنت انتظر الحركة الأولى للجذب. وبعد ما اخترقت الحدود بين الضعف والاستقرار، حزنت .. وأخرستنى قلة الحيلة.

فى الأيام الأخيرة لم تدم حلاوة المكاشفة كثيرا،

وأعلنت أن أصحابها رفضوا المشروع من أساسه، وأكدوا أن غيابها كفيل بحرق القلب، وما عليها إلا انتظار عظامى قادمة بعد غربة طويلة، أحمل فى يدى رمحا، وتحتى فرس أغبر، لكننى مجرد شبح فى زوايا المرايا التى حملقت فيها طويلا .

زوبة العمياء

كبرنا فوجدناها عمياء، لم نعرف السبب، ولم يجب أحد عن شكوكنا فى عماها، حتى ظننا أنها ولدت هكذا.. عمياء، أصابها الرمد، أو وضعت لها خالتها أم زغلول صبغة اليود، بدلاً من القطرة، فأعمتها، لحظتها صرخت زوبة فى البياض الذى ملأ العينين، صرخة مدوية، زلزلتنا ونحن نشاهد فاتن حمامة تفقد بصرها فى سينما عبد النبى. حفظنا المشهد الذى حدث أمامنا، ورأيناه بعيوننا، وصدقناه. أما زوبة فقد وعينا ووجدناها عمياء، لكننا لم نكتف بذلك، وبدأنا نفتش عن الأسباب ..

والذى يعرف زوبة العمياء يدرك أنها لم تكن مجرد ضريرة، تتحسس خطواتها من أنفاس المارين، وتستعين بعيونهم فى الشوارع والحارات، تتسول عطفهم وتشدو لهم بموشحات الدعاء التى حفظتها عن ظهر قلب منتصب

السامعين بالسجن.

ويأخذون بيدها على مضض، دون أن يتحمسوا لمأساتها، كما تحمسنا مع فاتن حمامة فى فيلمها القديم، لدرجة أننا تمنينا أن نضع صبغة اليود فى عيوننا لندرك الحقيقة، فى أداء الحياة .

وإذا لم يأخذوا بيدها، يظهر وجه زوبة المستبد ، وتبدو العاهة ذات بأس شديد، تنقم وتخضع الأسوياء والجبارين، وعند الزهق منها نهرب، ونبدأ الشك فى عماها من جديد نسمع الكبار يرددون أنها اتفقت مع خالتها أم زغلول على استعمال صبغة اليود، كى تتمكن من العمى، وتجلب لخالتها الأشياء، ونقول لهم إن زوبة بالفعل ترى، وأنها تتوسل العمى وتؤديه كى نصدقها، وعندما يستفحل الشك فيها، تقسم بأن ما تراه فقط خيالات .

كانت تمسك بيد من يقع فى فخ عطفها، تتبت به، وتخدعه بضررها وقلة حيلتها ولا تتركه يفلت من يدها، حتى تكمل على الأقل جولتها الصباحية فى اللف على

البيوت، تمسك ذراعه بيد، وتدق الأبواب باليد الأخرى، وإذا أصاب الفتى الزهق وحاول الاعتذار تبدأ زوبة العمياء في سرد الحكايات المملة بلا نهاية، ولا تكف عن إغوائه ليرق قلبه، ويقبل المواصلة معها، ولا يتركها في عماها للبرد والمجهول، تبكي أمامه في حرقة شديدة، لكنه بكاء بلا دموع، وإذا اكتشف الفتى خداعها واستبدادها، ينزع ذراعه التي تحتضنها زوبة بقوة، ويهرب مذعوراً، لحظتها لا تتورع زوبة بعد أن يفلت منها، عن عزف نشيد الدعاء عليه وعلى أهله والذين وضعوا نطفته من جذورها، تندب بشجن، وتعطي مدات الحروف مواضعها، وتختم بأن يصبح الفتى وأهله قبيلة من العميان. لا يجدون من يسبقهم، أو يدلهم على طريق النبع، فنضحك ونمر سريعاً.

حفظت الأذن أناشيد زوبة العمياء في حزنها وفرحها، وفي الحالين هرب الناس من طريقها، وتجنبوا مواجهتها أو الاصطدام بها، وكانوا يفلحون .

تحاول المسك بأي من الهاربين، لكنهم يفرون، وتبقى

وسط دائرتهم كالقط الحيران ، تخربش من تطوله يدها خربشات غبية، حتى ظننت أن الناس يخافون منها .

لا يعرف وجهها الوسامة فهو طويل ورفيع، رأسها كرأس الهدهد، ومؤخرتها بحجم فيل، وبطنها كالحامل ، التي لا تضع مولودها أبداً، وبياض بشرتها كبياض العجين، جسدها لا يعرف الزوايا المعتادة ، بل هو قطعة واحدة كالجوال، أو القالب الذى خرطه حداد فقير، وعبأه فى جلباب من الكستور، له جيبان منتفخان، تغطى زوبة سطحهما بمنديلين مهترئين، تخبئ بهما ما تحتهما من نقود، تتحسسها بين الحين والحين، وتفرغها مرتين فى اليوم، فى حجر خالتها أم زغلول ، مرة بعد أذان الظهر بساعة، ومرة مع أذان العشاء، وفى كل مرة تمر على شوارع غير الشوارع، وتدق على أبواب غير الأبواب، خريطة محددة قسمتها بمعرفة خالتها، وعرفتها زوبة جيدا ، وتنفذها بدقة ومهارة.

تعود بعد كل جولة بمحصلة لا بأس بها ، ولا تمانع فى أخذ أى شيء، خبز، قطعة جبن، شبشب قديم ، مكان

على دكة السينما، أو على مقهى، أو حتى أمام التلفزيون فى ميدان السوق الصغيرة أو بين البائعين تنادى لهم على بضاعهم تأخذ نقوداً، أو حبة جوافة، أو حبة بلح ، أو عنقود عنب ، أو حزمة برسيم صغيرة، أو حتى هدمة قديمة، فجثتها لا تعرف الملابس الجديدة إلا فى العيدين.

والمؤكد أن زوبة العمياء لم تكن بحاجة فى كل هذا إلى عيون المارين ، بل أنفاسهم ولمسات أيديهم ، إلى تحسسهم، ومعرفة ملمس الأجساد الأخرى، ويكفيها أنها تعرف الشوارع كلها، والبيوت والساكنين وراءها فردا فرداً .

فى احدى المرات وجدت نفسى فى مواجهتها، فمسكت بى، ولم تعبأ بما اتململ منه واتعلل، وأتاحت لى بعد حكايات كثيرة أن اتشمم أنفاسها طوال الطريق، تغرس ذراعى فى نهدها، وتحك فخذها فى فخذى، وتمسك بيدى تربت بها على مؤخرتها، وتغرس أصابعى فيها بعنف، وعندما هممت بها وجدتها تخور كالبقرة فندحت .

سألتنى وهى ترتب ملابسها عن اسمى ومكان بيتنا،

فلم أجبها، نادت على فهربت من أمامها، لطمت صدغيها وقالت فى انكسار : سأعرفك. بعدها لم تملك زوبة العمياء إلا الكتمان والحرقة والدمع الذى فاضت به عيناها، وزادت في الأيام التالية من الدعاء على الجميع بالعمى والحسرة .

انقطعت أخبار زوبة العمياء عنا، فظننت أننى السبب، وربما تحضن الآن طفلها، الذى كتبه زغلول ابن خالتها باسمه فى شهادة الميلاد، وسافر بعدها إلى صحراء الجزيرة، أيامها بدأت الحوالات البريدية تنهال على خالتها، فكفت زوبة عن الدوران فى الشوارع، والدق على أبواب البيوت. وعندما اندلعت الحرب هناك، وانقطعت أخبار زغلول، وتوقفت الحوالات، ماتت أمه ، وورثت زوبة العمياء الأشياء كلها، فشعرت بالقهر والخذلان.

قررت زوبة العمياء هدم بيتهم القديم، وبناء الجديد، وعرفت الأكل الجديد، واللبس الجديد، والمعاش الجديد، فبرزت زوايا جسدها وكثر خطابها وخيرها، كانت تستعرض الرجال أمامها، تتشمم أنفاسهم، لا تهمها

ملامحهم وأصواتهم، تبحث عن صاحب الأنفاس الأولى، وعندما تاهت أنفاسه، أدمنت الحالة ، وذاق الناس بؤس العاهة وبأسها، وأصابهم الذل ، أفاقهم فقط مشهد موتها الرهيب، إذ حملوا جثتها على عربة كارو، يجرها فرسان قويان، بعد ما فشل أي نعش في استيعابه. وحملت العربة الثانية صفائح من الذهب والفضة، جمعها عماها القديم.

بدون عنوان

ربما أذاب لى وشقيقتى الصغرى سحراً من فعل الجان، أتى به من بئر الشمس البعيدة، تشعل بنيرانها الطغيان وقيم الجوارى وكتم الأنفاس، كان يسقينا الشاى ليلاً ، فنتوه عن العالم وعن الوعى، ويبدأ بعد منتصف الليل وبداية يوم جديد فى تفريغ شهوته الحارقة فينا جميعا، أنا وأمى وشقيقتى الصغرى كل ليلة.. كل ليلة، موعدنا معه، أو موعده معنا عند منتصف الليل، يلفنا بظلمته وحسرته، فنبيت فى قهر ومذلة .

ما الذى أفعل حيال هذه الخيالات التى تتراقص أمامى، وكأننى أعيش عالما غير العالم، وحياة غير الحياة، وأهلاً غير الأهل، وبشر غير البشر، خيالات تشعرنى بالوحدة والفقد، وأننى فريسة أمام ذئب لن يرحم أبداً، وتطول أنيابه شقيقتى الصغرى، بعد ما طالت أمى من

قبل. وحيدات فى البرية الموحشة ، لا يرحمنا صاحب الخيالات من دجله اليومى، الذى يرسم على أبواب حياتنا بجداول معروف مطلمسة، ويخضعنا له دون أن ننبس بحرف ، يفعل فينا ما يحلو له ، ثم لا يتورع .

تركنا والدى ورحل ولم نزل صغاراً، كنا فى احتياج إليه، يحمينا فى هذا القفر من أنياب الذئب الذى يتربص بنا، فلماذا أخذه الموت منا بغتة ومبكرا، ولماذا سلم نفسه لملاك الموت كمداً، فى هذه الحياة ، وآثر الانسحاب وراحة الخلود، أو خلود الراحة، بعيداً عن آلام المواجهة، والتعرض للنهش دفاعا عنا من أنياب الذئب المفترس لحومنا النيئ فى هذه الحياة، التى لم تعد تتسع لتحقيق أحلامه فينا، ولم يقدر، ولم يستطع، فقد قصف الفقر والعوز ظهره، فتركنا وذهب، ولم يترك لنا غير الحائط، نبدأ من قوالب طوبه الدفاع عن أنفسنا، بعد ما افتقدنا ما ندافع به عن أنفسنا برحيله المبكر .

فى البداية أجبرتنا أمى أنا وشقيقتى، على الخروج من المدرسة، فالتعليم هنا لن يجدى ، فى كنف الحاجة، وما

الذى يفيده أن نعرف رفع الفاعل ونصب المفعول، وإتمام الجملة المفيدة، التى يحسن السكوت بعدها. كل هذا لن يفيد المعدة الخاوية، من الطعام منذ ليال طويلة. ولم تكتف بذلك بل طلبت منا بعد ذلك الخروج إلى العمل، بحثا عن مصاريف لقمة العيش وأكلنا وشربنا وملبسنا، قد نبذل جهد النهار بطوله بحثا عنها، لكنها فى العشاء تبدو لقمة مريرة فى حلوقنا .

هل يحق لمن فى سننا أن يختال بحسن شبابه، ولو أمام المرآة المقسومة، وهل يمكننا أن نترقب فتى الأحلام، ونحن فى انتظاره على شباكنا فى العصارى المنعشة، فيهب علينا بطلعته البهية كنسمة صيف كما يغنى محمد عبد الوهاب. والمؤكد أننا لم نذق هذا كله ولم نعرفه، وأنى لنا ذلك ولم نكتف من الضروريات، حتى نذوق رفاهية الأحلام .

بعدها وجدنا صاحب الخيالات ومستقدم الجان، يعيش فى بيتنا، ويلقن الجدران والزوايا حروفه وأصواته وبصماته، حتى رائحته الكريهة، التى تكتم أنفاسنا،

وتشلنا عن الكلام والحـــركـــة. يجلس مع أمنا، ويأكل طعامنا، ويشرب من مائنا، وينام في فرشتنا، كأنه واحد منا، ومن لحمنا ودمنا، لكن الأنفاس، ترفض وفي إحدى الليالي رأيته يغطي بجسده العاري، تأوهات أمي العارية تحته، فبهت أنا وشقيقتي الصغرى، وجرحت فينا العفة .

لم تفلح المواجهة معها، بعد اعترافها وجرأتها في سرد تفاصيل العلاقة بينهما، وإعلانها ما يربطها بصاحب الخيالات . قلت لها إنه دجال، والناس في الحتة كلها يتحدثون عن الإثم الذي يرتكبه في بيتنا منذ ليال بعـــيـــدة، وأنه نصـــاب، وســـارق، ومطارد، من الناس والعفاريت التي يستحضرها معه عنوة. لكنها بدت في ردودها قوية وعنيدة، ولم أر في ملامحها ذلك الضعف الذي لمحته فيها وفي تهدج صوتها وهي مذلولة تحت شهوته، وضعفها المخزي أمام فحولته وقوته، التي حرمت منها سنيناً. وأعلنت في وضوح أنه هو المسئول عنا، وأنه هو الذي يطعمنا ويسقينا ، ولولاه لمتنا من الجوع، فلم أصدق .

ربما برر صمتى عن المواجهة، ضعف حالتها بعد رحيل أبى مبكراً، وتركه لنا جميعاً بلا عائل، وبلا أهل نركن إليهم، فتاتين فى مراهقة الشباب، وأم صبية لم تأخذ حقها من الدنيا.

لكن التبرير ساقنى إلى تجسيد ما يقوم به الدجال صاحب الخيالات ليلاً مع أمى، على فراش أبى، استعيد خزيها وحديث الناس المؤلم عن عارنا المفضوح على كل الألسنة .

وأكملت شقيقتى الصغرى الفضيحة بحملها سفاحا، وهتك بكارتها ، هنا باحت أمى لنا بالسر، عن هذه الخيالات التى داعبتنا أكثر من عشرين مرة، مارس فيها هذا الدجال الفحشاء معنا دون أن ندرى.

اعترفت لنا أمى بأن صاحب الخيالات طلب منها أن يعاشرنا، ويرتكب معنا الفحشاء، واحدة تلو الأخرى، فلم ترفض طلبه، لكنها كانت تدرك رفضنا لهذا الطلب مسبقاً، فتفتق ذهنها وسحر خياله، أن أذابت لنا حبات المنوم فى الشاى، وتركتنا لاستخدامه الليلى، يفعل معنا

مـا يحلو لـه، ونرى أنا وشـقـيقـتى خـيـالات سـابحـة وأفق جـهنمى لا ندرك أبعـاده، ولا يـأتينا منه سـوى الألم والذبح والتأوهات الحزينة. يغتالنا فى لحظاته، ولا نصدق. ينتابنا الألم والنزيف الدموى أمـامه، ولا تتحـرك له شعرة، يتحـرك الجنين السـفاح فى أحشاء شـقيقتى الصـغرى، ولا تشـعر أمى بوخزة ضمير. فاضطررت أن أتم لها عملية إجهاض فى السر، حتـى لا تفتضـح أمورنا، ورضـينا بـهتك العمـر والجسد والبراءة على مسرح خيالات الدجال صديق الأم العبثية، وسمومه الخبيثة، ولا نعى شيئاً، ولا نصدق ما يدور.

وأمـام كثـرة الأحـاديث وتناقل الأخـبـار، باغتت قـوات شـرطـة المعصـرة بـحـى حلوان، جنوب القـاهـرة، بيتـنـا، فلم تجد غيرى أنا وشـقـيقـتى الصـغرى، فـألقت القبض علينا، بينمـا هربت أمى بصـحـبة الدجـال، يجذبهم حـبل سـحـرى، لا ندرى نهـايتـه، ربمـا إلى مكان آخـر، وعـالم آخـر، وأبناء وبنات آخـرين، وأمـهـات أخـريات، لصنع أحـداث جـديدة، ورسم خيالات جديدة، علـى مسرح مـغـاير، وفـى بيت آخر،

لم تعدم فيه الأم أمومتها، وهى تشاهد على مرأى من عينها بناتها يهتك أعراضهن دجال، يمتلك السر الذى جلب لنا العار، وأتى به من الجحيم الذى يغتالنا كل ليلة.

وبعد أن انتهت الشقيقة الكبرى من سرد حكايتها هى وأختها وأمها مع هذا الدجال، قرر أبو المجد عبد الرحمن وكيل نيابة حلوان تكليف المباحث بسرعة ضبط وإحضار الدجال والأم الجاحدة.

شريط كاسيت فارغ

منذ أن سمعته وأنا أردد في لحظات الكرب ألحانه، صوته يأتيني بالخير والوضوح، وتفتح دقات أنامله على عوده بابا واسعاً لإقناع الآخرين بحسن الاختيار، فضاؤه يدفعني إلى أجواء أسطورية لا تخلو من بدائية ورومانسية، أما الركون إلى خطابه، فهو الطريق الأمثل في العثور على ما تبحث عنه العيون .

أمسى شريط الكاسيت قريبا من يدى، أديره ليلاً.. أواسى به وجعى وحزنى القديم، وأشحن ساعاتي القادمة، وأحفظ أغنياته لمواجهة غير العارفين.

في حضرته أرى الذين أحبهم، وأحدهم يشق قلبى، وينزع المضغة السوداء، وقبل أن يرده الى مكانه، يغسله بالثلج والبرد، بعدها لا أقبل إلا أصحاب الأصوات

الواضحة. وعندما اكتشفت استخدام أغانيه فى علاقات الهوى، كنت قد تجاوزت الأربعين و «كل من أملت فيهم رحلوا، أو رحلوا عنى بعيدا، والقطارات تمر، القطارات التى اشتقت لترداد أغانيها الحديدية، ما عادت تبالى بالمحطات الصغيرة». وبعد طول سماعه، اكتشفت جهل المسئولين عنا فى الأحزاب السرية، عندما أعطونا شريط الكاسيت ، مع شرائط الشيخ إمام، ومارسيل خليفة، ومظفر النواب، باعتبارها من أدواتنا الممنوعة كانوا يدسونها تحت جلدنا وحكموا على الأصوات الواضحة بالخفاء والكتمان ، لا نسمعها إلا فى حضرتهم، وفى لحظات التجلى الأعلى، تهتز مشاعرهم على دقات عوده، ويبكون. ونظل طوال الليل نبحث عن الأوطان التائهة، فى عيونهم المبتلة الزائفة، كنا بهذه الشرائط نقطف الرؤوس التي أينعت وحان وقتها، وكنا نصطاد الرؤوس، ويختلفون هم على ثمنها. لم نفز بشيء إلا اليقين المراوغ ، وكمية من الممنوعات ، نندب حظنا وأحلامنا المؤجلة على أغانيه، ونتشوف معها القدرة علي الاختيار، فى هذه الفضاءات

الأسطورية الباردة، لا ننعم بخير فى جلسات الحضرة وأهلها، ولا نعرف فى عيونهم معنى الوضوح.

بعد العزلة عرفت الحب علي صوته، حملت نبراته شجنى المحترق بحب الحياة، والإخلاص فى البقاء، لكننى كررت اعتذاراتى، بسبب الارهاق الذى يغطينى، ويعطلنى عن مواعيدها ، والأعباء المتكومة فوق رأسى، وأمنيتى التى تشغلنى دوما: الانعتاق مبكرا، والكف عن خدمة البيوت، وأبرر غيابى بمتاعب الحياة التي لا تنتهى، والتى تتوه بى فى غياهب التسكع والتنقل بين المكاتب، ولا أجد فى نهاية المطاف سوي عينيها، واشتهاء الحياة، وانخراط فى الانشغال بها، لعلى أعثر علي ما تبقى من تبعثرى، وعندما يلاحظ أحد عيوننا ، أغنى بصوت عال «ح نغنى ودايما ح نغنى، ونبشر بالخير ونمنى، ونلف الدنيا الدوارة، على صوت النغمة الهدارة، ومعانا المشرط والبلسم، والكلمة الصاحية النوارة، هو احنا كده ، وح نبقى كده، ماشيين عارفين مع مين، دايما واضحين، مش بين ده وده». ويفضحنى اشتياقى إليها، فأكتب فى ورقة

صغيرة بعد صباح الورد: جئتك حتى لا يقتلنى نداؤك فى الليالى وأنت بعيدة، وتضرب لى فى الختام موعدا، ونغتسل فيه من كل الظنون المتعبة ، نواجه بعده الآخرين بالخير كله والوضوح .

كنت أرى السماء عندها غير السماء ، والصباح معها غير الصباح ، حتى الشوارع والمكاتب ومطبات الانفاق، أرى جرأتها أكواما من المحبة الجارفة التي لا تصدها سدود، لكننى أقوى على رد أسئلتها أهو الحب أم كمال الأربعين ، هكذا قلت عندما سألتنى عن كثافة الاندفاع، والتوازن الرائع الذى يسبق الانهيارات الكبرى، كنا كالحبة التي قسمت نصفين، هى عطشى دائماً لابتلاع مائى، وأنا أحرث أرضها فى خفة ويسر، أما قبلتها ، فكانت تأتينى «كسكتة القلب، تأتى فجأة وتميت»، تعطى الحياة طعما مغايرا، وتؤكده إشراقة عينيها، ورحمتها الدائمة، أملا لكل تائه ودليلا للعاشقين فى المحبة والغرام.. هنا.. لا تملك اللحظات إلا أن تناديها وتهتف باسمها. أما الغياب عنها، فله معان أخرى غير الشوق،

تحس بها الضلوع، منذ الساعات الأولى، فلا تطل على المكان بطلعتها، ولا ترن خطواتها داخلي، كأوتار عوده التي تدب الآن على البعد، تغتالنا وتشاركنا دخان السجائر وأكواب الشاى والقهوة وأنفاس الجدران وأرقام التليفونات والخطابات المتناثرة..

في صباح عودتها رأيتها تبكي ، وعندما سكنت يدى على كتفها، اهتزت أحلامها ونفضت عن أغصانها غدر السنين، أدرت لها شريط الكاسيت، فدهشت، وغنيت «هجرتى فيك.. كالهروب من الظل»، واعتدت أن أحادثها بأشعاره في الطرق والتليفونات، أحمل لها الخير كله والوضوح، ولا ألتفت لعيونهم وأحاديثهم، ويكفينى أننى لا أخشى الضعف.

حكت لى حكايات الريح وعسف السابقين والأخ الذى راح مبكراً، والأب الذى مات غيلة، والأم التى تآكلت فقرات ظهرها وتسربت منها السنون، وعندما اعترفت لها بأنها «سيدة انتظارى»، لم تخجل من ذكر الذين قبلوها من شفتيها بعمق، حتي أغمضت عينيها، بعدها انهارت

الجدران كلها، وكشفت ما كانت تخفيه وراءها، وأن الأمر يتطلب الآن القرار الحاسم.

لم أسأل نفسى إذا كنت أحاول الهروب، أم تصر هى على محاصرتى، ولم أقف عند الهواجس التي راودتنى ، فقط كنت أبغى فى الليالى المقمرة، أن أتعلم كالصبية الصغيرة، وأقف تحت شباكها، أنادى عليها بمقطوعات من أغانيه، فتعرف أين أنا، وتطير من الفرحة، وتهمس فى أذنى أننى اكتشافها، وتتمنى أن يطول بنا الليل، وأجدها فرصة، لأننا نلتقى دائماً متأخرين.

فى الأيام الأخيرة بدت كلمة الظروف واضحة فى حواراتنا ، استمر أنا العنف ، وعشنا بين الشد والجذب، كانت تقول: ما نحن فيه خارج أى تصور، أو أى منطق أو رؤية، فأدعوها إلى البداية ، وكيف كانت، وأقول : عليك فى الليالى الباردة أن تديرى شريط الكاسيت، وستجدين أمامك من يصد الريح، ولا يضمر لك شراً.

فى الصباح هلت علينا وفى صحبتها ضيف جديد، جاء بضيائه الخفى ، لا تلتقطه إلا العيون المدربة على

الوضـوح، وعلـى الجـانب الآخـر، وجـدت أوراقـي الصـغـيـرة ملقـاة، وصـور أهـل الحضـرة ممزقـة، ونصـف الحبـة يـعـثـر على نصـف آخـر، أمـا شـريط الكاسـيت، فقـد سـجلت على ذراته الحديدية أشياءها الجديدة:

عجائز الهوامش

سألنى فى تجهم: ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ لم أتوقع السؤال فى بداية الأمر، استغربته عندما نطق به سكرتير الوزير، لحظة دخولى المبنى الأبيض، خصوصا أنها المرة الأولى التى يسألنى فيها هذا السؤال، وبدأ يلاحقنى فى الأماكن التى اعتدت التواجد فيها إلى جواره، ناسيا ابتسامة البشرى التى كنت ألمحها فى عينيه ، كأنه يبارك خطواتى وتواجدى فى أماكنه .

فى هذا الصباح كان صريحاً فى عدواته، وزاد من وقاحته أن أمر أفراد الأمن باصطحابى إلى خارج مبنى الوزارة. وشدد عليهم ألا يسمحو لى بالدخول مرة أخرى، لحظتها شعرت بحد السكين يذبح شرايين الحلم الذى داعبنى منذ سنوات. وتواطأت على كبريائى وقلت فى نفسى: لعله غاضب هذا الصباح، أو أرهقه العمل الكثير،

أو فسدت صفقة من صفقاته، وربما رآنى اتبع خطاه، فظن بى السوء، وبدأ بطردى كى يمسح آثاره ومعالم الطريق حتى أضل .

يسألنى الآن عم جاء بى إلى هنا وكان هو النجم الذى نهتدى به فى حياتنا، وحلمنا فى العيش إلى جوار الكبار، والبعد عن ناموس الناحية وأوحال فقرها، كان الضوء الأخضر لحاجاتنا وطلباتنا عند الحكومة، والمثال الذى يطالبنا آباؤنا باحتذائه. أما تراب سيارته عشية كل جمعة، فكان يعفر فى وجوه الخاملين، والذين ركنوا ظهورهم إلى حوائط مساكنهم النيئة بعد مغارب الأيام. الآن يسألنى، بعدما تركت الأهل والأرض، ونسيت الزرع والقلع، وتبعنى - كما تبعه - كثيرون، وجدنا فى ريح سيارته عند ذهابه ومجيئه، القدرة على الطيران ، والأمل فى اللحاق بخلاصه.

والحقيقة أننى كلما رأيت حمرة خديه وقسمات وجهه تتحدث بالنعمة ، تأكد لى أن الطريق إلى رغد العيش أسهل مما أتخيل، فقط .. علىّ أن أتبع خطاها فى كل

شيء، ولو ظن بى الناس الظنون.

كان كل ما فيه يبهرنى: شكل أصابع يديه الأكثر استواء، لون أظافره المختلف، أسنانه الناصعة بلا خدوش أو اعوجاج، علياؤه فى حساب الآخرين على طلباتهم وهدايا المجاملين، ساعته الفخمة، طرف السلسلة الذهبية التى تبدو حول رقبته على استحياء، فيخطف بريقها الأبصار ، شاربه الكث، المحمول على جنبه الأيمن، والطبنجة السوداء على جنبه الأيسر، ماركات ملابسه المستوردة وألوان قمصانه الأكثر زهوا، طريقته فى معاملة الوحيدات وقدرته على اكتشاف حاجاتهن ، حتى مؤهله المتوسط الذى ينساه دوما، ويكره من يذكره بتخرجه فى قسم لحام الكهرباء بالمدرسة الصناعية، بهرنى هو الآخر، ويكفيه أنه يتحلى بذكاء لم يملكه أصحاب الشهادات العليا، ويحتل منصب سكرتير الوزير منذ سنوات، دون أن يزحزحه أحد، ومن طول تأملى فيه، خشيت أن يتحول الأمر إلى فتنة به، وغيرة حمقاء، وحسد أسود على النعمة التى أمسى عليها، وركنت إلى الايمان

بدعاء الوالدين فى هذه الأمور .

لم يبهرنى أحد غيره، ربما لأننى عشت الحلم نفسه، وعرفت بيتهم وأخوته ، وكيف أسند أبوه ظهره الى حائط بيتهم، بعد ما خسر أمواله فى بورصة القطن بالاسكندرية.. ومات كنت مثله خاطبت فينا المدينة أوتاراً خفية، ويدفعنا الأمل الى غزوها، وإحراز الهدف تحت سمائها، وفى الأماكن نفسها التى سبقنا إليها سكرتير الوزير.، استعين بخبراته وطرائقه فى عرض بضاعته، وأحياناً بخبثه وكذبه، وأقلد فى كثير من الأوقات زيفه ورنين صوته، وانتظر بفؤاد فارغ اليوم الذى يذهب فيه الوجه الممصوص من المرآة. وبعد سنوات من الصعلكة لم يبق فى ذاكرتى غير الدعاء بألا يحرمنى الله من خدمة البيوت ومكاتب الكبار .

فى الأيام الأولى بدا وجهى مألوفا لديه، وكثر ترددى من خلاله على المبانى الحكومية والمكاتب الخاصة وعندما طلب منى أن أمر عليه فى مكتبه، قلت فى نفسى: الآن مسكت ببداية قصة الكفاح التى سأسردها فى فخر على

مسامع الآخرين .

في الطريق إلى مكتبه كنت أمر على نيل بولاق أبو العلا، فتغسل صفحته روحي من الوساوس والمخاوف، وبعد العبور إلى الضفة الأخرى تجتاحني رائحة السكرتير التي تزكم الأنوف منذ سنوات.. فلا أبالي، حذروني من هذه الرائحة التي امتدت من وسط الدلتا لتشمل المناطق المحيطة، فقلت آن الأوان لأتفرغ بالكامل لتوطيد علاقاتي بعلاقاته، وإحكام المراقبة على تصرفاته في الأمور كلها، انتظارا للحظة المواجهة .

كان لا يكف عن الحديث عن الطرق المستقيمة والحاجات الواضحة والأشياء الحلال ، ويؤمن بأن المرء لا يحتاج سوى هدمة نظيفة، وأكلة حلوة، ونومة مريحة ، لكنه بعد ذلك بدأ يتخفف من أعباء كثيرة أكلت روحه ووقته، ويحكي عن ذلك الفرح البعيد الذي يسعد به المختفون وراء المشاهد، لأنهم يعلمون الحقيقة، قد يبدون من السذاجة التي تدفع الآخرين إلى التعاطف معهم، وقد يستعينون عند الحاجة بتراث الخبث الوفير، لكنهم

يمتلكون لمعانا فى العيون، ويقظة دائمة ، ولا يهوون الأضواء التى تفضح ما يفعلون فى الخفاء، يخترقون كالسوس عظام المدينة، ويؤمنون بأن الخلاص يكمن فى الانهيار التام.

بعد طول دوران قصدت الهروب منه، ومن جحوظ السؤال فى عينيه، تجاهلته ربما خرست أصواته المتأججة داخلى، لكنه فى الصباح الموعود أدرك خطورة المسألة وكبر السؤال فى رأسه، ولم يتردد فى طرحه بهذه العداوة الظاهرة، دون أن أملك الاجابة عليه .

كأن المكان ضاق، أو كان صدرى أوسع من الهواء المحيط وأن ما يتسرب إلى الآن هو الاختناق، وعلى إذا أردت الفوز أن أفرق بين الأماكن، قبل أن أعدم كل شىء، وفى النهاية اكتفيت بإشاراته الواضحة إلى ضرورة البعد عن حضرة الكبار وأماكن تجمعاتهم التى نغّصت علىّ المعيشة، وجعلتنى كالمجنون أطارد أشباحا، لا يعرف ملامحها سوى الحالمين برغد العيش. يطالبنى فى أحاديثه الأخيرة بالتخلى عن الحسرة على ما فات ،

والرضا بالمقسوم، والركون إلى قناعة النفس، بحثاً عن السكينة والاحتماء بواقع الأمر، ربما هدأت ملاحقتى له، فيرتاح هو أيضا. وعرفت أنها القطيعة. فلو أفلحت فى الهروب من أماكنه ، فكيف الفكاك من السنوات التى أمضيتها فى طريقه، ومن أيدى الذين يخنقونى ويضغطون بطلباتهم ومشاريعهم ومكاسبهم كل صباح. هو لم يدرك أسرار هذه المبانى، التى أرهقتنى فى البحث عنها، لم يقف أمام أسئلتها التى تنعى حظها فى صمت، وتنتظر بلهفة قدوم العارفين الآتين، الذى يحفظون المتن عن ظهر قلب، ويحركون الهواء فيها والأنسجة. آه لو عرف الآخرون أن الأماكن تنادى ساكنيها ، لأنقذونى من هذا الاختناق، وإذا لم أسكنها أنا، يسكنها آخرون، وسيأمرون فى أول يوم بخلع اللوحات الرخامية، وخلع عيون المتطفلين، وانعدام الأسئلة. موحشة هى الأماكن الخالية من العارفين ، ومقفرة، وبلا أنفاس الأحبة، أكاد أسمع شوقها الدائم للقادمين، دون أن تتمسك بأحد إلى الأبد، أرى رؤوسهم فى اللوحات التذكارية متراصة إلى

جوار بعضها، كأنها جماجم فارغة من المحبة والعدل، أما الأفواه ينطلق زفيرها نيرانا تحرق السنين وتلتهم كل شيء. الوجوه أعرفها جيدا، بعد ما صار وجهي مثلهم، ينبئ بالعجز والتراخي، فما الذي أركن إليه لحظة المواجهة، بعد ما أمسيت في زمرتهم. أذهب إلى أماكن تواجدهم، وأنصت إلى أحاديثهم، وأبادلهم الرأي فيما يطرحونه من قضايا أو تصورات. وعندما افتضحتني العيون طأطأت رأسي ووافقت على الترقي، وحسدني سكرتير الوزير على منصبي الجديد، لكن حاصرني الندم بشكل لا استحقه.

بدأت صورتي تجاور صورهم، في خلفية المشاهد التي تنشرها الصحف وتذيعها نشرات التلفزيون يحتلون الصدارة ويبدون في ستراتهم الغالية وأربطة أعناقهم الأنيقة وجواربهم الحريرية، كأنهم ليسوا من هذه النواحي، ولا ينتمون إليها، هم المخططون للأمور، وأصحاب القرارات، لم أجد في عيونهم حسرة على ضياع شيء منهم، ولم أجد شجنهم إلى ما مضى، ولم

أعثر فى ذاكرتهم على ما يعيننى على الدعاء. فقط وجدت مقاعدهم الوثيرة وغير المتربة، وأوراقهم وأفكارهم التى تجرى بين الأماكن فى سهولة ويسر، أما أحاديثهم فهى مفعمة بالذكريات الكاذبة، وأحاديث الحاضر الخائبة، غارقين فى نهمهم طوال الوقت، فطنوا إلى حلاوة الهامش والمتن، فامتلكوا الأمرين ولم يتركوا للعارفين شيئا. أتحسس رقبتى الآن خوفا عليها من هجوم مرتقب، قد يخنقوننا بأربطة الأعناق الأنيقة، لعلها الأيادى نفسها التى تمتد إلى رقبتى الآن، ربما يدى أنا، كيف أفر من هذا الاختناق، وأى بوابات زمنية سمحت لنا بالعبور، لو فتشونا جيدا، لوجدوا أسباب المنع كثيرة : نحتل المقاعد الفارهة فى سرادقات العزاء، والمناضد الأمامية فى الحفلات والأفراح، ونملك البراح، وأحذيتنا لا يعفرها تراب الدرجات الرخامية والسجاجيد الفارسية والشوارع أمامنا خالية، ولنا نصيب فى شقق وسط البلد، ويلفون نعوشنا بأعلام الأوطان. لكن تكفى رائحتنا لتمنعنا هذه البوابات من المرور، وكأننا لم نستحم منذ قرنين.

فى الأيام الأولى للمنصب الجديد، استطعت التوفيق بين المهام جميعاً، عبر أجندة يومية، عشت بها الحياة، حتى فترات وحدتى كنت أحددها، أما معارك الحفاظ على هذه النعمة، فقد استغرقتنى طوال الوقت. ولم أتوقع بعد فترة أن تملأ النشرات الداخلية لعلب الأدوية المستوردة أدراج مكتبى، وتتكالب علىّ الصبايا، أملا فى إحداث التوازن المطلوب، والبقاء الأطول وراء هذه الحوائط.

بين الحين والآخر تعاودنى الأسئلة ذاتها، وركنت إلى حمد الله كثيرا على النعمة، ولم يهدأ بالى بحثا عن بلاغة أسوقها للموضع المختلف، أبرز فيها دلالات الانتقال بين الأماكن، وأنسى ما أنساه، فالطريق مجهد وطويل، والمحتاجون كثير، وأصحاب الطلبات يتزاحمون، والمهام جسام، ولما اكتشفت النتائج الصحيحة للمعادلة، شعرت بالاعجاز ، وزاد حقد سكرتير الوزير على. المشكلة الوحيدة التى أرقتنى هى عيون تلك الحوائط ومراقبتها الدائمة لما يدور بداخلى. لم أفلح فى صد بلاغتها، وتأكيدها على تهميشى وعجزى عن الاستمرار.

قلت لنفسى إننى أضخم الأمور أكثر مما ينبغى، فقد اعتدت أن أكوم الأشياء فوق رأسى، ثم لا أجد الطاقة على حملها ، ولا يتوافر لى الوقت أيضا. فما الداعى لكل هذه الحسرة والشكوى من النعمة. وما على إلا أن استمتع بها، وتزداد أسنانى لمعاناً، ويعرض ما بين منكبى، وتتنعم يداى، وتصبح نظارتى وساعتى وسلسلة مفاتيحى من المعادن النفيسة، ولا داعى للطبنجة، وسأكتفى بالمحمول، وأفعل ما أريد، أما حديث الحوائط وعيونها. فأنا كفيل باختراع اللغة التى ترضينى. كلهم يفعلون ذلك رغم إكبارهم ومهارتهم فى ألعاب التوازن، لكنهم يشكون فى مرارة من عيون الحوائط ذاتها، تصيبهم بالقلق الدائم والحيرة المستمرة والنهم الذى لا ينقطع. قد تواجههم العيون فى أى مكان ، ربما إلى جوارهم، أو أسفل بيوتهم، أو داخل سياراتهم، ربما يتحسسون مثلى رقابهم، لن أتردد أنا الآخر، عندما ألمح، أحد أبناء ناحيتنا، فى التجهم وأسأله بعداوة واضحة: ما الذى جاء بك إلى هنا ؟!.

كراكيب

لو نظر أحدهم عند موضع قدمه، لرأى نصفها التحتى عاريا تماما، ورأى كل ما رأيت، وعرف تفاصيلها كما عرفت، وأصابه الهبل والجنون كما أصابنى، من حلاوة ما رأى ، فخذيها، صوتها، نبعها السلسبيل، بطنها، زوايا خصرها ، كعبيها وقدميها وأصابعها، ورأى كفها وهو يمر بالليفة على هذه الأجزاء تغسلها بنور، يلهب كل من يرى، ويشعل فيه النيران التى لا يطفئها أى بلل، مساماتها تنادينى، وبصمة جسمها تختلف، ورغم الحريق الذى يشوينى طوال فترة استحمامها، لم أبح لأخوتى أو لأصحابى بالسر، اكتفيت به لنفسى، وبدأت أبحث عن مواضع أخرى، أرى منها المشهد كاملاً وأكثر وضوحاً، فكرت فى أن أصعد إلى السقف، أو أحفر طاقتين سحريتين، عساه يخجل من جسدها المشوق، فيتحول

إلى مرايا، تعكس المعرفة، ونور الاكتشاف فالطاقة التى يمتلكها جسدها على الجذب، تقوى على سحر البشر والحجر. أكاد أسمع دندنة الكون على صوتها ببعض الأغانى التى تحبها، ويخبط الكوز فى الطشت النحاس، فتجوب رنته الآفاق.

وتسحبنى إلى عوالم الكينونة، فألتصق بها جيدا فتدلق الماء على رأسينا، ويجوب عطرها أرجاء الحمام، أما الوابور الجاز فيصنع بدوشته خلفية من الصخب والغليان، تسمح بالتحرك دون أن يحس بأقدامى أحد. كنت أكثر من التعلل فى الدخول إلى عفشة المياه، أيام صعودها إلينا واستحمامها عندنا، أراقبها فى خطواتها، وأفتش حاجاتها، وأراها تأتى بأشيائها كاملة قبل دخولها الحمام، ملابسها النظيفة والفوطة الباهتة التى تلف بها شعرها المبتل، تتساقط منه قطرة مياه. مساماته. أراهن كثيرا على أن تنسى شيئاً وهى عارية فى الحمام وتنادى على، فأذهب إليها ولا أعود أبدا، ويبدو أننى خسرت الرهان من طول انتظاره، ورضيت أن أنزل إلى موضع

قدمي، في كل مرة، أرقب على مهل أجزاءها، ولا أكف إلا عندما أسمع صوت أنفاس الوابور تتسرب دفعة واحدة، وينطفيء فأنسحب دون أن ينطفئ اللهيب داخلي، أو يهدأ جوعي.

أراها وهي تخرج من باب الحمام في اكتفاء تام، كاملة في ذاتها، وفي فرادة أنوثتها وأحاديثها، تحمل تحت إبطها ملابسها التي غيرتها، والوابور المنطفئ في يد، وفي الأخرى الطشت النحاس وفي جوفه لوفة مبتلة، ترغب في أن تشم رائحتها، وصابونة، وكرسي حمام متهالك، جلست عليه عارية.

أخترع معها أي حوار، لأطيل وقفتها، وأذكرها بما نبهتها إليه من قبل، ألا تنزع خرطوم التشطيف من حنفية دورة المياه، وأشرح لها أهمية وجود الخرطوم في بوز الحنفية، وأحاول أن آخذ بيدها إلى الصندرة، حيث تلقى الخرطوم فيها كل مرة، وأن تأخذه بيدها وتركبه هي، وأعبر بجوارها الباب، وأحتك بها ولا أعتذر، وبعد أن هزت رأسها بالموافقة، زادت جرأتي، وبدأت أراقبها وهي

تستحم من ثقبل الباب الواسع مباشرة فأرى جسدها العارى كاملا، وفى أوضاع مختلفة، دون الحاجة إلى النزول إلى موضع قدمى، لأرى فقط نصفها التحتى، الآن أراها كاملة، جسدها كله تحت عينى ، وأظنها أمام لهفتى وثورتى، لمحت سواد عينى يفحصها من ثقب الباب، لكنها لم تسده بورقة قديمة، واكتفت باحكام الترباس عليها، كى تطمئن على حدود عطائها وتهورى.

فى المرات التى لا تسد فيها شباك الحمام على بسطة السلم العلوى بصفيحة السمن القديمة، كنت أرى جسدها وضوح النهار، لامعة بيضاء، تشحذ الشهوة على سكين أجزائها. أما إذا سدت الشباك ، فإن النور الشفيف سيحيل المشهد إلى خيالات أسطورية، تتكشف فيها الأنثى الأولى فى العالم، ومدى توحشها، الذى يدفعنى إلى فسخ باب الحمام المتهالك، والفتك بجسدها النورانى، ولا أضمن اكتمال المشهد بسلام، فأبلع ريقى وأتمهل فى الرؤية.

اعتادت الصعود إلينا هى وغيرها من بنات الحجرات

السفلية فى الدور الأرضى فى بيتنا الكبير، تحتل أسر غريبة حجراته، كل أسرة تشغل حجرة واحدة، لكن لا حمام لهم، فاعتادت البنات الصعود إلينا لمساعدة أمى، أو مسح الصالة الكبيرة والسلالم، أو ملء المياه، أو عجين الخبز، أو للاستحمام، خصوصاً أننا نعيش فى أدوار البيت الأخرى.

فقط جسدها هو الذى جذبنى ووجهها الجميل، دون الأخريات، وبدأت تضيق من مراقبتى لها، بعد ما تفرغت ومكثت فى البيت أيام المذاكرة الأخيرة . فى البداية اكتفت بأن تضربنى على كتفى برفق وتسبنى بعدها مددت يدى فصرخت فى وجهى، ولمت حاجاتها، وقالت إنها لن تصعد إلينا ثانية، ولن تأتى لتستحم، وأنها ستحكى لأمى عن كل شىء، فلم أهتم إلا بالحمام، الذى وجدتنى فيه، استعيد صورة شقها القمرى أمامى، وأراها تملأ عينى المغمضتين .

فى غيابها بدأت أسأل نفسى عما أريده منها وما الذى انتظره، ولما كل هذا التخطيط والارهاق، وأنا أعلم

علم اليقين، أن هناك رجلا آخر، ينتظرها فى الحجرة السفلية، وينام إلى جوارها على فراش واحد، مس جسدها، ولحظ إبداعه، وفك لغته المطلسمة منذ سنوات، وأجاد فى نسيج حكايات العشق والرضا، وعرف الأسرار كلها، وهى.. وهبته ذلك. أتذكر الآن حكاياتها عنه، وكيف تغيرت نبرات صوتها، عندما جاءت سيرته ، فهى تراه أمامنا رجلها ، يسد حاجاتها، ويأخذ أنفاسها وتأخذ أنفاسه فى برودة الحجرة السفلية .

لم تغب كثيرا، وكانت المفاجأة أن أتى بها زوجها، وصعد إلينا كى يطمئن بنفسه على أسباب انقطاعها عنا والغياب، وعندما حكى عن سفره إلى صحراء الخليج، أيقنت أنه أراد أن يسلمها لأمى، كى تعيش عندها فترة غيابه، يومها نبهتنى أمى بألا أضايقها ففرحت .

زاد احتكاكها بى، فأصابنى الخجل، تلقى بأطرافها أمامى عند الصعود أو الهبوط وعند الدخول والخروج، وتصعد إلى السطوح ليلا، وتدخل على إلى عشة الحمام، بحجة أنها صنعت لى الشاى، وتهدل لها الزغاليل فرحة بمقدم روحها الجميلة بعدها أعلمتنى الأسباب التى

تجعلها لا تطيق اللباس الداخلى، فأقول لنفسى : ربما ما لم آخذه هناك آخذه هنا، فى مكان غير المكان، وزمان مختلف.

علمت بنجاحى فى الثانوية العامة، وأرادت أن تشاركنا الفرحة، فهمست فى أذنى: سأحلى لك بقك، فترقبت موعدها ذات ظهيرة، عندما نادت على لأساعدها فى رص الكراكيب فى الصندرة، طلبت منى أن أسند لها السلم الخشبى، وستصعد هى، فقط على أن أناولها الأشياء التى كومتها أمى وجمعتها قبل خروجها من الأدراج والدواليب، والكراسى والزجاج المكسور والمفاتيح القديمة وعلب البوية التى جفت وأسلاك ولمبات محروقة وأكياس سدت المدخل تماما.

أرادت أن تعتدل فى وقفتها على درجات السلم، فوسعت ما بين ساقيها ووضعت واحدة على درجة السلم والثانية على الشباك الصغير الموازى لها، وعندما رفعت رأسى بينهما وجدتها بلا لباس داخلى. ففزعت، لكننى واصلت الوقوف تحتها، أدقق، وهى ترفع بين الحين والحين طرف جلبابها الأزرق، فتمر غيمة من نور ، تشع

فى جسدها الشفيف زرقة باهرة. ولم أر فى عريها عورة، يجب عليها أن تسترها وتغطيها، بل رأيته ناراً، لهبا يؤجج البشر وتأكل كيانى أنصحها بالتمهل فى رص الأشياء فى الصندرة وأن تختار لها الوضع المناسب، وأخالفها فى المرات كلها، وهى تطيعنى فى استغراق محبب، تسألنى عن حبات العرق التى بدأت تتصبب على وجهى فأشير إلى الحر الشديد الذى يشعل الأجسام، تعاود رفع طرف جلبابها الأزرق، وعندما مددت إليها يدى، تأوهت وارتبكت واختل توازنها، لكننى احتضنتها حتى هبطنا سويا، ولاحقتها برأسى داخل جلبابها، لحظتها همست فى أذنى بعبارة والله وكبرت يا على. فى الصباح حزمت مع أمى حقائبى التى سآخذها معى إلى المدينة الجامعية، قبلتنى خلسة، وعاهدتنى ألا أنسى، لكننى فى أول اجازة عدت فيها إلى البيت، لم أفرح بما طلبت أن أساعدها فى رص الكراكيب الجديدة، فى الصندرة، أعطيتها كتب الثانوية العامة القديمة لترصها مع بقية الأشياء .. ومضيت ! .

هكذا يبدو ..

جلس واضعاً أوراقه على ركبتيه، يخفى بها فعلته ساعة الصباح، كانت تسترق النظر وتترقب لون عينيه، وعند المحطة الأخيرة ربتت على كتفه وقالت : هكذا يبدو الأمر فى المرة الأولى .

هو الانسحاق وفوران الدم فى الجسد، وعشة المسامات ولذة الإثم والتماسك، المصالحة التى تمناها بلا مجاملة بين الأمان والسقوط ، أكان عليه التمادى حتى يكتشف احمرار الوجنتين ؟.. هكذا تساءل، والمؤكد أنه كان يتهيأ منذ زمن لهذا الفوران، ورغم إدراكه التام بمجيئه، لم يتصور أنه سيأتى بهذه السهولة واليسر، الأغرب هو محاولته الانسحاب، والاعتذار عن عدم القدرة على التكملة، والخوف من الاستمرار ، ولكن الشبق الطافح من عيونها، أكد له - بعيداً عن معايير الصواب

والخطأ – أنه الانسحاق الذى يريده .

هي التي دعته إلى قطار الثامنة والثلث حتي اعتاد عليه، وأمسى واحداً من ركابه الأفندية، طقس يومى تشوبه آلية أحياناً، ويشتاق إلى صبيحة الاجازات الطويلة، أما محاضرات الصباح الباكر، فكان يخرجها من جدوله، ليقف جوارها، وعندما لاحظ الكثيرون انضباطه علي قطار الثامنة والثلث، اكتفى بأن يعلن فى زهو إنها تعينه على تفريغ ضغوطه، بل لم يهتم باعترافها له بعد ذلك، أنها كانت تقصده دون الآخرين، يوم أن نادت عليه كي يرفع على رأسها حمل الكرات والجرجير والبقدونس ، ولما مال على الحمل حمله وحده، شمت رائحة عرقه وعافيته، وكشف عن صدرها ، فلمح انتفاضة النهدين، وانغرست فى جسده إبر، دغدغت الكيان كله.

فى البداية اكتفت بالحكى عن قراريط الأرض الخمسة التى يملكها أبوها، والبطون التي تؤكلها، وطلاقها بسبب عقمها، وإصفرار القمر الدائم فى سماء الدار، وأكوام الجرجير والكرات التي ترصها فى حزم صغيرة كالهزائم،

وأمنياتها المكتومة، وأن تحتضن الكراسات مثل الفتيات على رصـــيف المحطة، وأن تدخل المدرســة والجــامــعــة والسينما .

استمرأت إنصاته، ودفعها صمته للوقوف أمامه، والاحتكاك به مع أقل هزة للقطار، وأن تلتصق به ، وإذا أراد أحد المرور بينهما، أفسحت له طريقاً دونما الافتراق عنه ، وعندما دعاها لدخول السينما أجلتها للغد، كي تأتي بحمل خفيف تبيعه سريعاً في شوارع القاهرة ، وترتدى جلباباً وشبشباً جديدين .

حاول الهروب كثيراً، وفي كل مرة كانت تلف عليه عربات القطار، وتهمس في أذنه : سأصرخ وأفضحك في القطار كله، وعندما فكر في الخروج مبكراً، والتزاحم في غير قطار الأفندية، وجدها في انتظاره، فنسى.

هي المبادرة دوماً.. فوجيء بها ذات صباح تحشر صوتها في سرته، لم يجد بداً من التمادى، بعد ما اكتشف بين نفسه أسباب تمسكه بها، وفي الصباح المزدحم كانت تشق جيب جلبابها، وتلقى بطرف طرحتها

عليهما، وتمسك به جيداً حتى لا يهرب أو يخاف، وفى صباح آخر كانت تحبسه فى دورة مياه القطار، وتغلق الباب عليهما جيداً، لا تفتحه إلا بعد هروب الأقدام، وفى كل مرة كانت ملامح وجهها تتغير فى جرأة بالغة، وفى كل مرة كان يسألها: هل ستأتين غداً؟.. فترد برقة مدربة: كل يوم .

كل الساعات مضبوطة، ولعبتها عمق ما تخبئه الأيام، دفعته أساليبها التى لم يعهدها من قبل، إلى اسقاط كل الاستثناءات والتخلى عن أصحاب المحطات القصيرة فى حياته، والتفرغ لها، أوصلته إلى محطة النهاية، وأخذت بيده الى ما يريده من أفعال وإن شابها الضعف والإختلال، لكن الرضا عن هذه المعادلة، جعله يشعر بالراحة، وأن ينام بلا قلق أو كوابيس .

فى أيام الحزن وكانت تلمح عينيه تخترقان صفوف الركاب، تتجهان إلى تلك الفتاة ، تحتضن كراستها فى حنان، تمنت لو نظر إليها نظرة مثلها، أن تقول عيناه ما تقوله لصاحبة الكراسات، كل ما تخشاه أن يراها بنفس

عيون الآخرين، مجرد بائعة، وأن تستيقظ يوماً فلا تجده وراء ظهرها، فتهوى فى بئر جوعها، ، يربكها السؤال عن نفسها وموقعها فى حياته، وما تفعله صاحبة الكراسات لتبهره كل هذا الإبهار، تلتصق به أكثر، ربما ألهيته الحمم ونطقت دقات قلبه باسمها. وبدا لها بعد حين أنه نسى سؤاله اليومى، فذابت رقتها، واحتفظت بذهنها المدرب كى تبقيه جوارها أطول فترة ممكنة.

غلبتها الحيرة لما طال غيابه، تقلب كل يوم أوراق الخضرة بين ضياعه وآثامها ويتأكد لها ألا جدوى من التماسك، فيصيبها الذبول، يتبلل وجهها بالدمع كل صباح، وتطحن عجلات القطار أحلامها فى التمنى، وتستعيد ترتيب الأحداث فتخترقها نفس الوخزات تسرى فى الجسد كله، وتتوه آهاتها مع صفير القطارات الراحلة، ويتحول فوران الماضى القريب إلى بقعة جامدة من الدماء الداكنة، فتنسحب فى هدوء بعيداً عن أعين الأفندية، غير عابئة بآثام ، لا تسمع إلا دقات قلبها تناديه.

لمحته قادماً فى أول الرصيف، تهللت مساماتها، رفع علي رأسها الحمل فى صمت وكراساته تحت إبطه، همست فى أذنه بأشياء.. لم يرد عليها، آثرت الجلوس على أرض القطار جوار حملها، وبعد ما فرغ القطار فى محطة مصر من ركابه، أخذته فى أحضانها هناك، فى طرقة العربة الأخيرة بين المقاعد، خشى أن يلمحهما أحد، لكنها أكدت أن عمال المناورة لا يأتون قبل الثانية عشرة، دفعته ارتعاشاته وجوع فورانها إلى الاحتماء، لم يفق إلا وحذاء ملطخ بالشحم والزيوت فوق رقبته، وقنديل المناورة العتيق يسحبها من تحته فى يسر إلى رصيف آخر، طفح الدم من رأسه، ولم يسعفه إلا الصمت، عندما سمع على البعد تأوهات استسلامها، فمشى مهدداً.

فى الصباح كان قد قرر هجر القطارات كلها، لمحها تنادى أحدهم أن يرفع على رأسها حمل الكرات والجرجير والبقدونس، وبطرف إصبعها وجدها تزيح طرحتها وتكشف عن صدرها، وإبر تنغرس فى الجسد، فتدغدغ الكيان كله .

الرمز والصبوة

(١)

لم يكن مجدى حسنين، بالنسبة لى، مجرد زميل أو صديق.

صحيح أننا تزاملنا طويلاً فى العمل بمجلة «أدب ونقد»، والقسم الثقافى بجريدة «الأهالى»، وصحيح أننا تصادقنا طويلاً، فكان معه سرّى، وكان معى سره، وحمل عنى بعض اضطرابى وحملت عنه بعض اضطرابه .

لكنه كان - فوق ذلك - بالنسبة لى ، رمزاً :

رمزاً للمواطن المصرى الشاب الذى يكدح آناء الليل وأطراف النهار لتحصيل القوت الضرورى له، ولذويه، بالطرق التى لا يأباها الضمير اليقظ .

رمزاً للصحفى الجاد، المشرّد وراء الخبر، الهائم وراء الواقعة، المغرم بالحقيقة حتي لو كانت غير مزوّقة.

رمزاً للمبدع الموهوب ، الذى يقمعه الرمزان السابقان - المواطن المصرى والصحفى الجاد - ليظل المبدع منزوياً فى القاع، لا يطل برأسه إلا مرات محدودة على استحياء، وبعد مقاومة مستميتة.

لكن المبدع ، الآن، بعد أن سكتت مدافع الصراع فى معركة الحياة اليومية، هو الذى يصعد، وهو الذى يبقى، وهو الذى يقول : أنا الوصف الجوهرى لمجدى حسنين .

(٢)

هذه المجموعة القصصية، هى المجموعة الثانية لمجدى حسنين، إذ صدرت مجموعته الأولى «ناصية سليمان» عن سلسلة الكتاب الأول بالمجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٧. وهاتان المجموعتان تحتويان على كل ما كتب من نصوص قصصية.

وقارئ هذه المجموعة ستباغته فيها كمية الألم المكنوزة

التى كانت تجيش بها نفس ذلك الفتى، الذى كان لا يكف عن السخرية والمرح والضحك .

كما سيباغته ذلك النهر المكتوم من الأشواق والصبوات النابضة، التى لا تجدلها متنفساً إلا فى لحمه ودمه: فتجعل الدم جمرة واللحم فرياً مفرياً .

كما سيباغته ذلك الالتفات الأصيل المتعاطف، مع بعض النماذج البشرية المهمّشة، والمنسية، المهملة على قارعة طريق المعالجات الأدبية المعتمدة.

(٢)

أما الحب، فكان هو الحياة، وكانت الحياة هي الحب، عند مجدى حسنين . وقد وصلت هذه العلاقة التبادلية بين الحب الحياة ، والحياة الحب، درجة من الدقة الفاجعة، حينما عبر فى إحدى قصص هذه المجموعة عن أنه حين يرى المحبوبة تصيبه السكتة القلبية من فرط الحب. فما لبثت المبادلة الفاجعة أن حققت له تعبيره الأدبى معكوساً: إذ خطفته السكتة القلبية من فرط الحياة.

(٤)

« أو لم ننْهَكَ عن العالمين

فما انتهيت »

هكذا قال الشبلى للحلاج لحظة الصلب . لم نقلها لمجدى حسنين : فما كان يمكن أن نقولها ، لأننا كذلك، لم ننته عن العالمين، ولأنه لم يكن ليسمع منا ، لو أننا قلناها .

هذه مجموعتك ، يا مجدى ، هديتك إلينا ، وهديتنا إليك. انعم بنصوصك وشخوصك التي جسدتها بذوب القلب. ودعنا ننعم بألم الفقد ولذة النص، فى آن .

أما القارئ ، فسيعرف من هذه النصوص ما لم يعرفه من التحقيقات الصحفية والتقارير الإخبارية عن وجدان ذلك الفتى الذى اقتطفه القاطف الخاطف ، قبل أن تتحقق الصبوة .

حلمى سالم

الفهرس

دورة مياه للرجال.............................. 7

مذكرات خاصة لابن المقفع (الحمار، الكلب) 15

السكرتير.............................. 47

حديث الحجرات.............................. 61

زوبة العمياء.............................. 69

بدون عنوان.............................. 79

شريط كاسيت فارغ.............................. 89

عجائز الهوامش.............................. 99

كراكيب.............................. 113

هكذا يبدو.............................. 123

الرمز والصبوة.............................. 131

صدر مؤخرا عن (أصوات أدبية)

٢٦٨- مكاشفات شخصية .... شعر : بهاء جاهين

٢٦٩- أقانيم .... قصص : اسماعيل البنهاوى

٢٧٠- مرايا الذات الأخرى .... رحلة : صبرى حافظ

٢٧١- ديوان غزالى .... كابتن غزالى

٢٧٢- الصنم .... رواية : أشرف الخمايسى

٢٧٣- منازل القمر .... قصص : سُمية رمضان

٢٧٤- مواقيت البهجة .... قصص : عزت القمحاوى

٢٧٥- عضم خفيف .... شعر : سعدنى السلامونى

٢٧٦- حافة الود .... رواية : نبيل نعوم

٢٧٧- صانع الصدمات .... قصص : أسامة خليل

٢٧٨- السبعة .... شعر : عادل عزت

٢٧٩- عشرين سنة على سلم المترو.. شعر : حمدى عبد العزيز

٢٨٠- ضرورة الكلب فى المسرحية... شعر : جرجس شكرى

٢٨١- نجع السلعوة .... رواية : أحمد أبو خنيجر

٢٨٢- طائر الفخار .... شعر : محمود نسيم
٢٨٣- كائنات هشة لليل .... رواية : صلاح والى
٢٨٤- قبض الريح .... قصص : شحاته عزيز جرجس
٢٨٥- أغادر جسدى .... شعر : أحمد السواركه
٢٨٦- بعدين .... شعر : صلاح الراوى
٢٨٧- الوفاة الثانية لرجل الساعات..... رواية: نورا أمين
٢٨٨- عبير الكمنجات .... شعر : عزت الطيرى
٢٨٩- نتهجى الوطن فى النور .... شعر: سمير الفيل
٢٩٠- رائحة النعناع .... رواية : حسين عبد العليم
٢٩١- امرأة يروق لها البحر.... شعر : عبد الناصر هلال
٢٩٢- قوة الحقائق البسيطة........... شعر : عزت عامر
٢٩٣- شهيد الوطن .... شعر : متولى عبد اللطيف
٢٩٤- الكوشة .... رواية : أمين ريان
٢٩٥- عالم تانى .... شعر : عمرو حسنى
٢٩٦- جاليرى يعرض صوراً مسروقة شعر: أحمد مرسى
٢٩٧- حديث الحجرات .... قصص : مجدى حسنين

الأعداد القادمة

١- أبناء الخطأ الرومانسي.............. ياسر شعبان
٢- بيت النجار .... عبد الحكيم حيدر
٣- موسيقيون بأدوار صغيرة .... فتحي عبد الله
٤- بدرية اسكندرية .... حسني بدوى
٥- قبل وبعد .... توفيق عبد الرحمن
٦- المسروق فضاؤه .... يوسف وهيب
٧- طريق للحفاة .... محمود قرني
٨- حياة عادية .... محمد صالح
٩- أحلام بدرية .... علي الشوباشي
١٠- الحب والحزن والحنين .... سامي فريد
١١- ديوان .... حسن طلب
١٢- هكذا يعبثون .... أمينة زيدان
١٣- يبدأ هكذا .... جمال القصاص
١٤- مختارات .... ماجد يوسف
١٥- .... عبد الفتاح الجمل
١٦- أحلام محرمة .... محمود حامد
١٧- اتبع نجمك.................. بهيج اسماعيل

سلسلة أصوات أدبية غير ملزمة برد الأعمال التي ترد إليها سواء نشرت أو لم تنشر

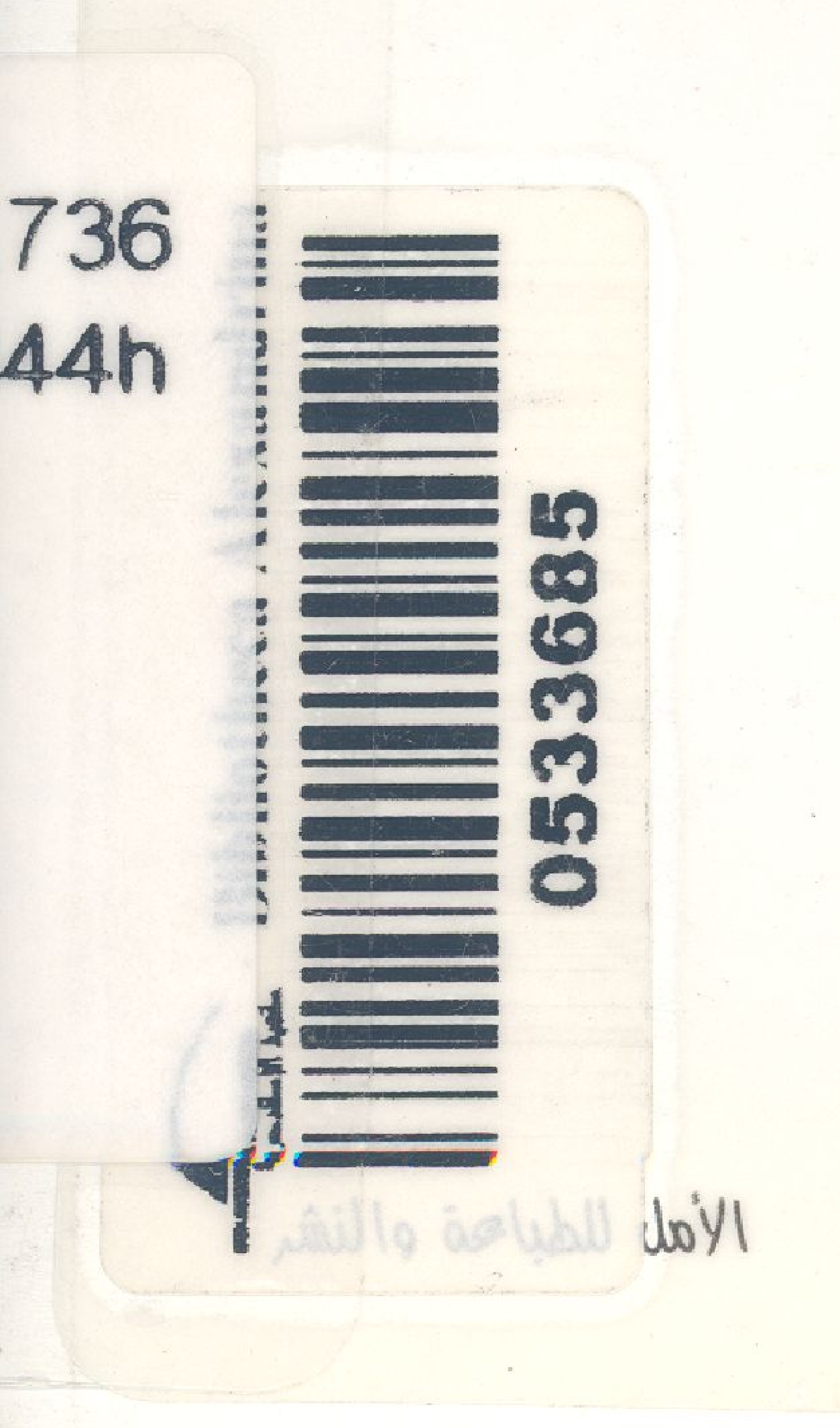
رقم الإيداع: ١٦٠٦٩ / ٢٠٠٠

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلي سابقا)



شعر

انفتح الباب، كلا لم ينفتح،
انغلق الباب، كلا لم ينغلق
فالباب موصد لتلم الشمس
متاعها عن هذا الوادى وترحل
إلى أحضان الجانب الآخر، قد
تعود ثانية ، من المشرق.. من
المغرب.. فالأمر سواء، وقد لا
تأتى أبداً، وربما ظل السحاب
فى الأفق راكداً ملتهب الجبين،
يتسلى والقدر بالدقائق قبل
الأخيرة من الوقت بدل
الضائع قبلما ينفخ « الحكم »
نفخته الباكية معلنا نهاية
المباراة.



الأمل للطباعة والنشر



خمسون قرشا